الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

السنة الثانية نظام (ل م د)

إعداد الأستاذ: قدوسي نورالدين

المحاضرة الأولى:

مفهوم الأسلوبية ومجالها

- **مفهوم الأسلوبية:**

قبل أن نلج مفهوم الأسلوبية يجب أن نذكر بأنها وليدة القرن العشرين وهي بذلك تفترق والأسلوب في مفترق العلمية، فالأسلوب مهد طبيعي للأسلوبية وهما يشتركان في كونهما يقومان على مبدأ الانتقاء والاختيار للمادة الأدائية والتي تتكفل الأسلوبية بدراستها([1]).

" ومن تم فإن مصطلح الأسلوبية يتجاوز مصطلح الأسلوب وإن كان مجالها يظل في دائرته، وهي في الوقت ذاته تفتح لها مجالات أرحب وأفسح فمنها دراسة الإمكانات اللغوية التي تولد تأثيرات جمالية ودراسة الركائز التي يعتمد عليها هذا التأثير الجمالي"([2]).

SAHLA MAHLA

كما لا يمكن إنكار دور اللسانيات ورائدها "دي سوسبير" في نشأة الأسلوبية على يد تلميذه "شارل بارلي" الذي أرسى قواعدها سنة 1902 فأصبحت الأسلوبية من أبرز أفنان اللسانيات صرامة على حد تعبير أولمان.

" لقد سلكت الأسلوبية في نموها سبيلين متوازيين إحداهما سبيل الاستقراء الذي أرسى قواعد ممارسة النصوص فتألفت من ذلك مكونات«الأسلوبية التطبيقية» والثانية سبيل الاستنباط الذي سوى أسس التجريد والتعميم فاستقامت معه مكونات « الأسلوبية النظرية»"([3]).

لا يمكن أن يخفى عن ذي بصيرة عمل أي علم تطبيقا وتنظيرا وهذا ما أجمع عليه رواد علم اللغة الحديث بأن الأسلوبية تشكل علما قائما بذاته له مقوماته وأدواته الإجرائية وموضوعه، ومن هؤلاء "جاكوبسون" و"ميشال ريفاتير" و"ستيفن أولمان" و"دي لوفر".

---

[1]- ينظر رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة تراث منشأة المعارف بالإسكندرية سنة 1993 ص 21.

[2]- المرجع نفسه ص 21.

[3]- د. عبد السلام المسدى النقد والحداثة دار الطبيعة الطباعة والنشر ط1 بيروت لبنان 1983 ص 72.

يرى د. نور الدين السد أن عبد السلام المسدي كان السبّاق إلى نقل هذا المصطلح وترويجه بين الباحثين العرب، يترجم المسدي مصطلح « Stylistique » الأسلوبية ويرد عنده علم الأسلوب أحيانا وتأخذ الأسلوبية مفهوم البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب وعموما فإن الأسلوبية تهدف لأن تكون علما تحليليا تجريديا يشد إدراك الموضوعية في حدود عقلانية، كما تبحث عما يتميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية، إذ تعني بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي إلى أداء تأثيري فني([1]).

- الأسلوبية والدراسات الحديثة:

لقد أصبح مصطلح الأسلوبية Stylistique يطلق على منهج تحليلي للأعمال الأدبية، والذي يركز على استبدال الذاتية في النقد التقليدي بتحليل علمي للأسلوب في النصوص الأدبية([2]).

والأسلوب يدرك بالتميز بين ما يقال في النص الأدبي وكيف يقال أي بين المحتوى والشكل، ويشار إلى المحتوى عادة بالمصطلحات التالية " المعلومات، أو الرسالة، أو المعنى المطروح" بينما ينظر إلى الشكل على أنه تغيرات تطرأ على الطريقة التي تقدم بها المعلومات فيؤثر على "طابعها الجمالي" وبالتالي على استجابة القارئ العاطفية.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

ويذهب الدارسون إلى تحديد مولد علم الأسلوب فيما أعلنه العالم الفرنسي "جوستاف كويرتنج" عام 1886 في قوله: إن علم الأسلوب الفرنسي ميدان شبه مهجور تماما حتى الآن... فواضعوا الرسائل يقتصرون على تصنيف وقائع الأسلوب التي تلفت أنظارهم طبقا للمناهج التقليدية لكن الهدف الحقيقي لهذا النوع من البحث ينبغي أن يكون أصالة هذا التعبير الأسلوبي أو ذاك، وخصائص العمل أو المؤلف التي تكشف بنفس الطريقة عن التأثير الذي مارسته عن الأوضاع، وشد ما ترغب في أن تشغل هذه البحوث أيضا بتأثير بعض العصور والأجناس على الأسلوب، وبالعلاقات الداخلية لأسلوب بعض الفترات بالفن، وبشكل أسلوب الثقافة عموما([3]).

ويعد " شارل بالي" « Charles Bally » مؤسس علم الأسلوب في المدرسة الفرنسية وقد نشر كتابه الأول عام 1902 " بحث في علم الأسلوب الفرنسي" ثم ألحقه بدراسات أخرى أرسى بها قواعد

---

[1]- ينظر عبد السلام المسدى الأسلوبية والأسلوب: ص 15.

[2]- ينظر نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 21.

[3]- ينظر د. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه إجراءاته ط1 منشورات دار الأفاق بيروت لبنان 1985 ص 10-11.

علم الأسلوب. إثر هذا نادى بعض الدراسيين بأحقية الوجود للأسلوبية تحت لواء علم اللسانيات، ومن أبرزهم "ماروزو" وأقر الألماني "أولمان" باستقرار الأسلوبية عام 1969 يقول: " إن الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعترى غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحاته من تردد، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي واللسانيات معا"([1]).

اختلفت نظرة الكثير من الدارسين للأسلوبية وكل تناولها بمنظوره وهي عادة تعرف بأنها الدراسة العلمية للأسلوب ولذلك كان "شارل بالي" يعرفها بأنها دراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين هذا الأخير والكلام، إن الأسلوبية كفرع من اللسانيات العامة تتمثل في جرد الإمكانيات والطاقات التعبيرية للغة بالمفهوم السويسري([2]) وهو في هذا يربط الأسلوب بالإحساس.

"مارسال كروسو" والذي أسس علاقة تكاملية بين البلاغة والنقد بعد أن حول الجانب الوجداني للغة إلى مفهوم جمالي وتبعه في ذلك "بيار جيرو" " الذي شدد على ازدواجية وظيفته بين المدى الأسلوبي والتفكير البلاغي، وكلاهما يتقاطعان فوق مساحة التركيب والكلام والكتابة والأدب... كما يقول الأسلوبية بلاغة معاصرة في تشكيلها: 1)علم التعبير 2) نقد الأساليب الشخصية "([3]).

يشير عبد السلام المسدي إلى أسلوبية "شارل بارلي" ومن جاء بعده من الدارسين الأسلوبيين يقول "فمنذ سنة 1902 كدنا نجزم مع "شارل بالي" أن علم الأسلوب قد أسست قواعده النهائية مثلما أرسى أستاذه "دي سوسبير" أصول اللسانيات الحديثة فإذا بروح الوثوقية كما سنّه "بالي" تأتي عليه أطوار من النقد والشك حتى غدت آراء باعث علم الأسلوب، تستفز اليوم كثيرا من الاشفاق، إن نحن فحصناها بمجهر الرؤية الحديثة"([4]).

يقدم كتاب "كراهم هاف" الأسلوب والأسلوبية «مسحا موجزا للأسلوبية من زاوية النظر الأدبية، وتحاول الإجابة عن المدى الذي يمكن أن تسهم فيه الأسلوبية في فهم الأدب»([5]).

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

---

[1]- د. عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب ص 24.

[2]- ينظر محمد الحناش البنيوية في اللسانيات ط1 دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب سنة 1980 ص 36-38.

[3]- د. نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 16.

[4]- عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب ص 20-21.

[5]- د. نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 17.

كما قام بوصف موجز للدراسات الحديثة للأسلوبية دون أن يغفل الاتجاهات الرئيسية في هذا الميدان، فهو يشير إلى المصادر الأساسية في نشأة الأسلوبية، ويرى أنها تشكل محورا يجمع بين اللسانيات والنقد الأدبي([1]).

أما "بيار جيرو" «فيجعل الأسلوبية تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب طالما أن جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاد إليه إلا عبر صياغاته الإبلاغية »([2]) ويتحرك هذا التعريف حتى يختص بحثه في نوعية العلاقة الجامعة بين التعبير ومدلول المحتوى([3]).

وما يمكن أن نصل إليه هو أن الأسلوبية أمكن تعريفها بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب([4]) رغم أن تعريفها تبدلت أثوابه من ناقد لآخر حيث يذهب "جاكوبسون" إلى أن الأسلوبية بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون اللسانية ثانيا.

ويذهب " آريفاي" إلى أن علاقة الأسلوبية وطيدة باللسانيات إذ هي وصف للأثر الأدبي عن طريق آليات مستقاة من اللسانيات ويؤكد هذا "ريفاتير" إذ يقر بأن الأسلوبية هي منهج لساني([5]).

ويذهب "المسدى" إلى أن «اللسانيات نفسها قد ولدت "البنيوية" التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معا "شعرية" جاكوبسون و"إنشائية" تودروف و"أسلوبية" ريفاتير ولئن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف فإن الأسلوبية معها قد تبوأت منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولا ومناهج»([6]).

تعددت تعريفات العلماء للأسلوبية وتنوعت وبينها تباين من حيث الصياغة والمنطلقات، وهي مستوحاة من الأسلوب، ولقد عرف مصطلح الأسلوب قديما عند العرب كما عرف عند غيرهم وهو في

---

[1]- ينظر كراهم هاف الأسلوب والأسلوبية ت كاظم سعد الدين دار الآفاق العربية عدد1 سنة 1985 بغداد العراق ص 11-12.

[2]- د. عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب ص 35.

[3]- نفسه ص 35.

[4]- نفسه ص 34.

[5]- نفسه ص 48.

[6]- نفسه ص 51.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول للمذكرات المتخرج في الجزائر

المعجم العربي يعني: السطر من النخيل وكل طريق ممتد، والأسلوب هو الطريق والمذهب، والجمع أساليب [1].

وقد استخدم علماء العربية هذا اللفظ في دلالات اصطلاحية متعددة، فقد ذكر ابن قتيبة مصطلح الأسلوب في قوله :"إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب "،كما ذكره الخطابي في معرض حديثه عن إعجاز القرآن "وهنا نوع من الموازنة وهو أن يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته ويقول الباقلاني في حديثه عن الإعجاز أيضا :"وقد بينا في الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب ومزيته عليها في النظم والترتيب "[2].

وما يظهر من سياق كلامهم أنهم لا يستخدمون مصطلح الأسلوب بالمعنى المستخدم الآن وإنما يعنون به الطريقة الخاصة في النظم والسمة المميزة لكلام عن كلام آخر وهذا يفيدنا أن أصل اللفظ وشيء من المعنى كان موجودا عند علمائنا الأوائل قديما ،كما نجد عبد القاهر الجرجاني يتطرق لتعريف للأسلوب، فيقول: بأنه" الضرب من النظم والطريق فيه "[3] كما تعرض له الحازم القرطاجني وابن خلدون، وهذا كله مما يؤكد وجود أصل هذا المصطلح قديما .

SAHLAMAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

أما عن الأسلوب قديما، فقد كان من عهد أرسطو ومن بعده وكان يستخدم أصلا للقلم والريشة ثم استخدم لفن النحت و العمارة ثم دخل في مجال الدراسات الأدبية، حيث صار يعني أي طريق خاص لاستعمال اللغة بحيث تكون هذه الطريقة صفة مميزة للكاتب أو الخطيب[4] .

أما عن الأسلوب في العصر الحديث، فتعدد تعريفاته بتعدد الاعتبارات ،وهي على النحو الآتي[5] :

1- باعتبار المرسل أو المخاطِب:

هو التعبير الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه ولذلك قالوا الأسلوب هو الرجل .

2- باعتبار المتلقي والمخاطب :

---

[1] لسان العرب لابن منظور, دار صادر ,بيروت,ط1 , 2000م , مادة(سلب) ص225.

[2] ينظر اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب , شكري عياد ,ص13, الطبعة الأولى 1988م.

[3] دلائل الإعجاز, عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمود شاكر ,مكتبة الخانجي القاهرة 1404هـ ص469.

[4] ينظر الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والادب الملتزم بالإسلام,د.عدنان النحوي , دار النحوي ,ط1 ,1419هـ ,ص 145.

[5] ينظر النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة روية إسلامية, أ.د.سعد أبو الرضا ,ط2, 1428هـ ص117, وفي الأسلوب والأسلوبية, والأسلوبية, محمد اللويمي , ص16.

هو سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أيا كان هذا الأثر.

3- باعتبار الخطاب :

هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة الموظفة المشكلة عدولا , وما يتصل به من إيحاءات ودلالات .

أما عن الأسلوبية في العصر الحديث، فهي كما يقول مؤسسها الأول شارل بالي : علم يعنى بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة المعبرة عن الحساسية[1]، ويقول عبد السلام المسدي عن هذا المصطلح أنه مركب من جذر" أسلوب " ولاحقته "ته"، فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي واللاحقة تختص بالبعد العلماني العقلي الموضوعي[2] ، وعرفها جاكبسون[3] : بأنهـــا بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا عن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا [4]

وقد حاول أحد الباحثين أن يجمع هذه التعريفات في تعريف واحد فقال: هي جملة الصيغ اللغوية التي تعمل على إثراء القول وتكثيف الخطاب وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم وبيان التأثير على السامع.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

ومن هنا يتضح لنا الفرق بين الأسلوب والأسلوبية (علم الأسلوب) وهي كما يلي[5]:

- ❖ الأسلوب وصف للكلام , أما الأسلوبية فإنها علم له أسس وقواعد ومجال .
- ❖ الأسلوب إنزال للقيمة التأثرية منزلة خاصة في السياق , أم الأسلوبية فهي الكشف عن هذه القيمة التأثرية من ناحية جمالية ونفسية وعاطفية .
- ❖ الأسلوب هو التعبير اللساني والأسلوبية دراسة التعبير اللساني .

ملحوظة:من العلماء من قال بأن مصطلح"علم الأسلوب" مرادف للأسلوبية ومنهم من فرق فقال بأن علم الأسلوب يقف عند تحليل النص بناء على مستويات التحليل وصولا إلى علم بأساليبه

---

[1] في الأسلوب والأسلوبية ,محمد اللويمي .مطابع الحميضي ط1 , ص42.

[2] الأسلوب والأسلوبية , عبد السلام المسدي الدار العربية للكتاب, تونس 1397هـ.

[3] ولد بموسكو سنة 1896م واهتم باللهجات الفولكلور واطلع على أعمال سوسير وأسس النادي الألسني بموسكو وعنه تولدت مدرسة الشكليين الروس , تنقل بين عدد من الدول واستقر أخيرا في أمريكا في جامعة هارفارد وهناك رسخت قدمه في التنظير للألسنية (الأسلوب والأسلوبية , عبد السلام المسدي, ص242)

[4] المرجع السابق ص33.

[5] ينظر في الأسلوب والأسلوبية , محمد اللويمي ,ص42,والأسلوب والأسلوبية لعدنان النحوي ص156.

أم الأسلوبية فهي تتجاوز النص المحلل المعلومة أساليبه إلى نقد تلك الأساليب بناء على منهج من مناهج النقد المعروفة [1], ولكن الذي يظهر أن الفرق بينهما ضئيل جدا وأنهما يلتقيان في كثير من الجوانب .

-نشأة الأسلوبية :

أينما يقرأ المهتم بدراسة علم الأسلوب كما بدأ في العصور المتأخرة يجد الإشارة التي تقول : أن علم الأسلوب نشأ في حضن الدراسات اللغوية الحديثة، وهكذا يحسن بمن يريد التعرف على هذا العلم أن يركز على بداية الأسلوبية عند العالم السويسري فرديناند دي سوسير[2]، الذي أسس علم اللغة الحديث وفتح المجال أمام أحد تلاميذه ليؤسس هذا المنهج وهو شارل بالي[3] 1865-1947م فوضع علم الأسلوبية كجزء من المدرسة الألسنية، وأصبحت الأسلوبية هي الأداة الجامعة بين علم اللغة والأدب[4] وبذلك فقد ارتبطت نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية ارتباطا واضحا بنشأة علوم اللغة الحديثة ، ورغم الركود الذي أصاب الأسلوبية، إلا أنها سرعان ما عادت إليها الحياة بعد عام 1960م، حيث انعقدت ندوة عالمية بجامعة آنديانا بأمريكا عن(الأسلوب) ألقى فيها ر.جاكبسون محاضرته حول الألسنية والإنشائية، فبشر يومها بسلامة بناء الجسر الواصل بين الألسنية والأدب [5]، وفي سنة 1965م ازداد الألسنيون اطمئنانا إلى ثراء البحوث الألسنية واقتناعا بمستقبل حصيلتها الموضوعية عندما أصدرت.تـــودوروف [6] أعمال الشكليين الروسيين مترجمة إلى الفرنسية [7].

لكي نحدد مفهوم الأسلوبية، ينبغي علينا أولاً أن نبحث في جذرها اللغوي في اللغات الأوروبية، باعتبار أن هذا العلم وليد الدراسات النقدية الغربية الحديثة، وإن كانت له بدايات غير واضحة في النقد العربي القديم، فكلمة Style " أسلوب " ترجع إلى الكلمة اللاتينية Stitus وتعني الريشة أو القلم أو أداة الكتابة، ثم انتقلت إلى مجال الدراسات الأدبية لتعني طريقة الكتابة، ومنها جاءت Stylistics (

---

[1] الأسلوبية الرؤية والتطبيق ,أ.د.يوسف أبو العدوس , دار المسيرة ط1, 1427هـ , ص37.

[2] سويسري درس في حنيف ثم في ليبزغ ثم استقر بباريس ودرس النحو المقارن ثم عاد إلى جنيف ودرس اللغة السنسكريتية ثم الألسنية عاش بين (1857-1913)م .(الأسلوب والأسلوبية , المسدي , 244)

[3] هو ألسني سويسري ولد بجنيف ومات بها تتلمذ على سوسير وبرع في الألسنية وعكف على دراسة الأسلوب فأرسى قواعد الأسلوبية في العصر الحديث ومن مؤلفاته (مصنف الأسلوبية الفرنسية) (ينظر الأسلوب والأسلوبية , المسدي , 237)

[4] ينظر في الأسلوب والأسلوبية ,محمد اللويمي ص41,والأسلوبية الرؤية والتطبيق , يوسف أبو العدوس ,ص38.

[5] ينظر الأسلوب والأسلوبية , عبد السلام المسدي,ص19.

[6] بلغاري ولد سنة 1939م درس الأدب البلغاري ثم هاجر إلى فرنسا من أهم أعماله " نظرية الأدب" (ينظر السابق ص240)

[7] ينظر السابق .

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

علم الأسلوب). وإذا حللنا المصطلح نجد أنه مركب من جذر Style " أسلوب " ولاحقه الذي يدل على النسب Stics " يه " و"خصائص الأصل تتقابل انطلاقاً من أبعاد اللاحقة. فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي نسبي، واللاحقة تختص فيما تختص به. بالبعد العلماني العقلي وبالتالي الموضوع، ويمكن في الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة (Science of Style) " علم الأسلوب " لذلك تعرف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب "([1]) .

ولقد مرت الأسلوبية بعدة مراحل ففي بداية هذا القرن نشأ نظامان عن تجديد المذاهب اللسانية "فشكلا، باسم الأسلوبية، دراستين منفصلتين ومتميزتين، تطورتا تطوراً مساوقاً لتطور النقد التقليدي للأسلوب ... وهما أسلوبية التعبير من جهة أولى، وهي عبارة عن دراسة علاقات الشكل مع التفكير، أي التفكير عموماً، وهي تتناسب مع تعبير القدماء. كما ستنشأ من جهة أخرى أسلوبية الفرد. وهي، في الواقع نقد للأسلوب، ودراسة لعلاقات التعبير مع الفرد والمجتمع الذي أنشأها واستعملها. وهي بهذا دراسة تكوينية إذن، وليست معيارية أو تقديرية فقط، ... إن أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة أو عن الحدث اللساني المعتبر لنفسه. بينما تدرس الأخرى هذا التعبير نفسه إزاء المتكلمين، ... وتنظر الأولى إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، وبهذا تعتبر وصفية، وتحدد الثانية الأسباب، وبهذا تعتبر تكوينية. ولذا كانت الأولى أسلوبية للأثر وتتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني، بينما الثانية أسلوبية للأسباب وتنتسب إلى النقد الأدبي"([2]).

" يكاد ينحصر الاهتمام بالأسلوبية التعبيرية في بالي، وإذا كانت وظيفة العالم اللغوي عند بالي هي البحث عن القوانين اللغوية التي تحكم عملية الاختيار فإن وظيفة المحلل الأسلوبي قد تطورت على أيدي تلاميذه لتصبح أكثر خصوصية، فتغدو البحث عن القوانين الجمالية التي تحكم عملية الإبداع الأدبي"([3]).

وخطا تودوروف بالأسلوبية خطوة كبيرة حين تجاوز حدودها اللغوية التي تتعامل مع الألفاظ والتركيبات بالسياق العام وعلاقاته بالعالم الخارجي والظروف القادرة على تفسير تلك التركيبات اللغوية.

([1]) بيروجيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، بدون تاريخ، ص30.

([2]) بيروجيرو، الأسلوبية، ترجمة د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، ط2، 1994،ص45-46،

([3]) د.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط1، 1977، ص 85،

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

وإن " كسوف الأسلوبية التكوينية كان يقوم على ظرفين: من جهة أولى على نهضة أسلوبية وظيفية([1])، تتجه نحو غايات الأدب أكثر مما تتجه نحو أصله. وقامت من جهة ثانية، ضد نفور اللسانيات التاريخية من تمثيل المخططات البنيوية واستخدامها وابتعادها عن المعايير الجديدة التي كان بإمكانها أن تحملها إليها"([2]).

ويقال إذا " كانت ألسنية سوسير قد أنجبت أسلوبية بالي، فإن هذه الألسنية نفسها قد ولدت الهيكلية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معاً شعرية " جاكبسون" و"إنشائية" تودورف وأسلوبية " ريفاتير" ([3])، وإذا كان سوسير قد اتبع منهجاً وصفياً، فإن تلاميذه من الألسنيين والأسلوبيين قد ساروا على طريقته، ولكن شارل بالي اتخذ طريقاً مستقلاً فارق فيه سوسير؛ لأنه يدرس الطرائق التي يتحول بها النظام اللغوي العام إلى أسلوب خاص، ولذلك اهتم بالانحرافات عن القاعدة.

وإذا كانت الأسلوبية التعبيرية تنشد في مرحلة بحثها القصوى استجلاء أساليب التعبير ورسم خارطة للإمكانات الأسلوبية والطاقات التعبيرية للغة ما بناء على حصر بالي " مدلول الأسلوب في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة"([4])، وكانت " الأسلوبية التكوينية تستنطق أسلوب الخطاب لمشارفة بؤرة الخلق وبلوغ المنطقة القصوى المجمعة والمولدة الصور والطاقات الإبداعية، معلقة بذلك، الأسلوب بذات صاحبه، فإن الأسلوبية البنيوية لا تعني بغير الخطاب موضوعاً للدراسة والغاية المستهدفة من البحث" ([5]) مسيجة، بذلك، وجودها وحاصرة حدوده فيما يدعوه جاكبسون الوظيفة الإنشائية، أي اعتبار النص، حسب تعبير المسدي " خطاباً يركب لذاته وفي ذاته"([6]).

تعتبر الأسلوبية البنيوية – نظرية ريفاتير- المرحلة الثالثة، و" مرحلة ما بعد الأسلوبية تمييزاً لها عن مرحلتيها السابقتين. فلقد صار النص كاملاً هو موضوع البحث، ومن أجله قامت لسانيات النص فأحرزت بهذا تقدماً على نفسها بعد أن كانت حدود الدرس مقصورة على لسانيات الجملة. والأسلوبية مضطرة أن تماشي خطا هذا التطور وأن تكون الأسلوبية للخطاب، وأن تتعدد وفقاً للأجناس الأدبية نفسها. الرواية والقصة، والشعر، إلى آخره. ويدل هذا أنها حين تدخل كل مجال من هذه المجالات

([1]) ظهرت الأسلوبية الوظيفية والتي تقوم على فكرة الاتصال عند جاكبسون وقد تعرضت لها في الخطاب الإبداعي.

([2]) بيير جيرو، الأسلوبية، ص 127.

([3]) د. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 237.

([4]) السابق، ص 85.

([5]) نفسه، ص 84.

([6]) السابق، ص 89.

فإنها ستقارب النص من خلال جنسه الأدبي .... وهنا سترى أمامها أنواعاً أخرى من الدراسات ستتداخل معها كلسانيات النص والشعرية، والتناص، إلى آخره"([1]).

ولعل الإحصاء كان من مناهج الأسلوبية ونستطيع القول: أنه إذا كان " الأسلوب انزياح بالنسبة إلى القواعد... ، فإن الإحصاء هو العلم الذي يدرس الانزياحات، والمنهج الذي يسمح بملاحظاتها، وقياسها، وتأويلها. ولذا فإن الإحصاء لا يتوانى عن فرض نفسه أداة من الأدوات الأكثر فعالية في دراسة الأسلوب. وإن كانت الآراء تقف منه موقفين متعارضين، فالأسلوبية الوظيفية استعارت نماذجها من نظرية الاتصال، واستعانت بمفاهيم الإخبار، والتكرار، والضوضاء، وهذه أمور يستطيع الإحصاء أن يمنحها مضمونها الموضوعي الذي ينقصها"([2]).

ولقد تناول الأسلوبية الإحصائية د. صلاح فضل في كتابه " علم الأسلوب"، ود. سعد مصلوح في "الدراسة الإحصائية للأسلوب" ، وشفيق السيد في "الاتجاه الأسلوبي" وغيرهم، وتعرضوا لمن وقف مع أو ضد الإحصائية، والمميزات السلبية والإيجابية للإحصاء.

وينصب التناول الأسلوبي " على اللغة الأدبية، لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء، بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحرافات عن المستوى العادي المألوف بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية، والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز، وعلى هذا يمكننا القول بأن علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال بينما الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد"([3]).

كما " إن اقتصار الدراسات الأسلوبية على الظواهر اللغوية والبلاغية وأنماط خرق الأسلوب العادي ... الخ قد أدى إلى وضع الأسلوبية في طريق مسدود ... وذلك لأن الأدب ظاهرة شمولية تجمع كل الظواهر الاجتماعية والثقافية والحضارية .. الخ، ولا سبيل بأدواتها اللغوية البحتة أن تطمح إلى إطلاق الأحكام الاجتماعية، والثقافية، أو سبر أغوار رؤى الكاتب الاجتماعية، وغيرها بأدواتها اللغوية الجزئية في النهاية"([4]).

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

([1]) بيروجيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 142-143.

([2]) بيير جيرو، الأسلوبية، ص 134- 135 .

([3]) د. محمد عبد المطلب، بين البلاغة والأسلوبية، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ط1، 1984، ص146.

([4]) د.محمد عياد، الأسلوبية الحديثة، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الجزء الأول،1981، ص 130.

هـذا و" تنظـر الدراسـات النصـية إلى المنظـور الأسـلوبي بصـورة هامشـية، فالأسـلوبية تضـع قاعـدة معياراً متحققاً بالقوة في اللغة العادية، وتقابلها مع الانحرافات في الأسلوب ويتعارض هذا التصور مع فكرة مركزية النص([1]).

ولكن الأسلوبية لم تقف عند القواعد المعيارية وأخذت في التطور حتى وصلت إلى النصانية، فما النصانية إلا وليدة عنها، حيث لم يقف النقاد عند القوالب الجاهزة وتطبيقها على النصوص، كما لم يقصروا أنفسهم على بنية النص السطحية، ودراستها دراسة إحصائية أسلوبية، تكتفي بالإحصاء أحياناً، وبالدلالات الجزئية القريبة والقائمة غالباً على محاور مبنية على ثنائيات. بل تطورت الأسلوبية ليتولد عنها ما أطلق عليه النصانية.

.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

([1]) مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ص 216.

المحاضرة الثانية

الأسلوبية التعبيرية

لقد لقيت الأسلوبية عناية كبيرة من قبل الأسلوبيين بأن صنفوا اتجاهات عديدة لها، كل واحدة منها تقوم على أسس ومقومات، أفردوا في كتاباتهم فصولا تحدد خصائص الاتجاهات الأسلوبية الغربية ومناهجها وطرائق تحليلها للنصوص، والأدوات الإجرائي التي تستعملها في وصف النصوص، بل خصص شكري عياد كتابا خاصا "لاتجاهات البحث الأسلوبي"، تحدث فيه عن أهم رواد الأسلوبية وأهم الاتجاهات التي سلكوها.

أ- الأسلوبية التعبيرية:«Stylistique l'expressivité»

SAHLA MAHLA

إن اللغة سواء نظرنا إليها من زاوية المتكلم أو من زاوية المخاطب حيث تعبر عن الفكرة فمن خلال (موقف وجداني) بمعنى أن الفكرة تصير بالوسائل اللغوية كلاما يمر لا محال بموقف وجداني من مثل الأمل أو الصبر أو الأمر أو النهي....

إن هذا المضمون الوجداني للغة هو الذي يؤلف موضوع الأسلوبية في نظر "شارل بالي"([1])، وهو الذي تجب دراسته عبر العبارة اللغوية مفرداتها وتراكيبها من دون النزول إلى خصوصيات المتكلم.

«إن الطابع الوجداني هو العلامة الفارقة في أية عملية تواصل بين بات، ومتلق حسب "بالي" دائما حيث يؤكد على علامات الترجي والأمر والنهي التي تتحكم في المفردات والتراكيب، وتعكس مواقف حياتية واجتماعية وفكرية، وينقسم الواقع اللغوي إلى نوعين: ما هو حامل لذاته وما هو مشحون بالعواطف والانفعالات أو الكثافة الوجدانية»([2])، فالتعبيرية في نشأتها هي طاقة الكلام في جملة

---

[1]- عدنان بن ذريل : اللغة والأسلوبية ط1 اتحاد الكتاب العرب دمشق 1980 سوريا ص 146.

[2]- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 60.

عواطف المتكلم وأحاسيسه ثم عُمم هذا المصطلح بعد "شارل بالي" فأصبح يهتم فيه المتكلم بإبراز أجزاء خطابه، وهو ظاهرة تكثيف الدوال خدمة للمدلولات([1]).

ونرى بعد هذا الواقع، الوجدانية المتعلقة بالتعبير اللغوي تكشف عن الأساس الوجداني لأسلوب المتكلم أي الكاتب. ونلحظ هذا فيما يسمى بـ: الآثار الطبيعية والآثار المنبعثة([2]).

ويقصد بالآثار الطبيعية مثل تساوي الشكل والموضوع أو الصورة والمضمون كالعلاقة بين (الصوت) و (المعنى) في السماء التي تتقلد أصوات الطبيعة فهذه وقائع طبيعية في تعبيرية اللغة([3]).

أما الآثار المنبعثة فهي نتيجة المواقف الحياتية، وتستمد أثرها التعبيري من الجماعة التي تستعملها كالفارق بين (النيل) و(الابتذال) في الاستعمال اللغوي ودلالة كل منهما مع المتكلم، فكل كلمة وكل تركيب لغوي يخص حالة لغوية معينة. فالأثر التعبيري المنبعث يعود إلى القصد الإرادي في استعمال وسائل اللغة، وكما سبق الذكر فالأسلوبية التعبيرية تصب اهتمامها على كشف الطاقات التعبيرية الكامنة في باطن اللغة، فهي عمل تطبيقي([4])، لكن ما يجب الإشارة إليه أن "بالي" أعطى أهمية كبرى للمحتوى العاطفي مما "جعله لا يهتم بالجوانب الجمالية، وتركيزه على اللغة المنطوقة صرفه عن الاهتمام باللغة الأدبية"([5]).

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

وعليه فالاتجاه التعبيري في الأسلوبية يركز في دراسته على الوقائع المتعلقة بالتعبير اللغوي وآثارها على المتلقي، وهذه الآثار نوعان:

أ-الآثار الطبيعية:

لعل هذه الآثار من أهم المقومات المشكلة لثنائية الدال والمدلول فـ"هو مستوى لغوي تبرز فيه جدلية الصراع بين الدوال والمدلولات كمسألة العلاقة الطبيعية بين الأصوات ودلالاتها أو الصور

---

[1]- ينظر د. عبد السلام المسدى الأسلوبية والأسلوب ص 187.

[2]- ينظر عدنان بن ذريل اللغة والأسلوب ص 146-147.

[3]- ينظر نفسه ص 148.

[4]- ينظر إبراهيم رماني مدخل إلى الأسلوبية ص 42.

[5]- د. أحمد درويش مجلة "فضول" الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه المجلد 05 العدد 01، بغداد سنة 1984 ص 64.

الفنية ومعانيها، أو بعض الأنماط البلاغية كالتعجب، والاستفهام ، والنداء،و الأمر، والقسم، والتأخير، والحذف،... وعيره .فكل هذه الوقائع في نظر"بالي" آثار طبيعية، وهي صورة من صور التعبير اللغوي."[1]

ب-الآثار المبتعثة(الاجتماعية):

إن الأسلوبية التعبيرية تقوم في هذه الآثار على تحديد ما في اللغة من الاحتمالات تعبيرية تظهر المفارقات الاجتماعية باعتباره سلوكا لغويا " ينتج عن مواقف حيوية لها ارتباط بالواقع الاجتماعي كمفهوم الابتذال الذي هو تعبير مرتبط بأناس مبتذلين كانوا قد ابتدعوه واستعملوه، لأن اللفظة (ابتذال) من بنية تنتمي إلى حقل دلالي خاص باللسان، وإلى مجال من مجالات اللغة"[2].

لم تهمل الدراسات الأسلوبية عند العرب التنويه بجهود شارل بالي في تثبيت أركان الأسلوبية التعبيرية، إلا أنها سرعان ما تجاوزتها، ولم تعتمد اعتمادا كليا عليها في رصد الحدث التعبيري الشفوي ووقائعه الأسلوبية، رغم أن آفاق الأسلوبية التعبيرية وفضائها كما يقول عدنان بن ذريل يتجلى في تأثيرها في مجالات كثيرة فكرية وعلمية متعلقة بدراسات مفيدة ومتنوعة كالتراكيب، والدلالات، والمعجمية، فقد درس الحذف والمصدر في الفرنسية، والفعل الماضي في المسرح المعاصر، ونظام الأفعال ، والفكر واللغة، واللسانيات النفسية، ودراسات علم النفس اللساني وغيره[3]

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

[1] الاسلوبيات وتحليل الخطاب، رابح بوخوش، ص 32-33.

[2] الاسلوبيات وتحليل والخطاب، رابح بوخوش،ص33.

[3] ينظر:اللغة والأسلوب، عدنان بن ذريل، ص148-143-9.

المحاضرة الثالثة:

الأسلوبية البنيوية

لم تغفل اللسانيات الحديثة فرصة توظيف مصطلح البنية في مجال الأسلوبية، لكي تبرز أن للعلامة الأسلوبية قيمة تتجلى في بنيتين:[1]

-بنية القانون:مكانة العلامة فيه ضمن المحور الاستبدالي.

-بنية الرسالة: والعلامة فيها تحتل موقعا تأليفيا محددا.

الأسلوبية البنيوية:

SAHLA MAHLA
المقدار الأول للمذكرات الحرة في الجزائر

وتعرف أيضا باسم (الأسلوبية الوظيفية) ونرى أن المنابع الحقيقية للظاهرة الأسلوبية ليست فقط في اللغة ونمطيتها، وإنما أيضا في وظائفها، إذ لا يمكن تعريف (الأسلوب) خارجا عن الخطاب اللغوي كرسالة أي كنص يقوم بوظائف إبلاغية في الاتصال بالناس، وحمل المقاصد إليهم، والتحليل البنيوي للخطاب يدل على أن كل نص يؤلف (بنيه) وحيدة يستمد منها الخطاب مردوده الأسلوبي([2]).

فالظاهرة الأسلوبية منوطة ببنية النص لا غير، وهي من حيث العبارة تُبْرِزُ مستويين:

أحدهما يمثل النسيج الطبيعي، والآخر يزدوج معه، ويمثل مقدار الانزياح أي الانحراف والخروج عن النمط التعبيري المصطلح عليه، كالخروج عن القواعد والأصول إلى ما ينذر من التراكيب([3]).

كما تعني الأسلوبية البنيوية في تحليل النص الأدبي بعلامات التكامل والتناقض بين الوحدات اللغوية المكونة للنص وبالدلالات والإيحاءات، ويتضمن هذا الاتجاه في علم الأسلوب بعدا ألسنيا قائما

---

[1] ينظر: pour la poétique ,meschonnic ,p20,paris,1974.

[2] – ينظر نفسه ص 82.

[3] – ينظر عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب ص 155.

على علمي المعاني والصرف، وعلم التراكيب دون الالتزام بالقواعد فهي تدرس ابتكار المعاني النابع من مناخ العبارات والمفردات([1]).

وما دامت الأسلوبية هي العلم الذي يتخذ من الأسلوب موضوعا له وتحديدا لهذه الخاصية نشير إلى مراحل القراءة الأسلوبية.

1)- مرحلة الوصف: وهي مرحلة اكتشاف الظواهر وتعينها والتي تسمح بإدراك وجوه الاختلاف بين بنية النص، والبنية النموذج القائمة في حس القارئ (اللغوي) مقام المرجع.

2)- مرحلة التأويل: وهي مرحلة تأتي تباعا للأولى وفيها يتمكن القارئ من الغوص في النص، والانسياق في أعطافه وفكه على نحو تترابط فيه الأمور وتتداعي ويفعل بعضها في بعض([2]).

وتعني الأسلوبية ورائدها "ريفاتير" أيضا بالقارئ الذي يعتبرانه جزءً هاما في عملية التواصل، إذ يعول على استجابة "القارئ العمدة" Archilecteur إما بالاستحسان أو بعدمه ومن ثم يأتي دور الباحث الأسلوبي الذي يهتم بتفسير الوقائع الأسلوبية والذي يكون نجاحه مستمدا من إدراكه للبنية الأساسية للنص([3]).

SAHLA MAHLA
الموقع الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

لقد قامت الأسلوبية البنيوية على مفاهيم رسمت تواجدها في حقل الدراسات الأسلوبية واللسانية الحديثة، ومن هذه المفاهيم

أ-**البنية**: وهي كل يتكون من

*الشمولية، والتي يراد بها التماسك الداخلي للوحدة،" إذ هي كاملة في ذاتها كالخلية الحية تنبض بالحياة التي تشكل قوانينها، وطبيعة مكوناتها الجوهرية، حيث إن كل مكون من هذه المكونات لا يجد قيمة في ظل نسيج كلي شامل مسمى الوحدة الكلية"[4]،

*التحول، وهي عملية توليد تنبع من داخل النسيج، كالجملة التي يمكن أن يتولد منها عدد من الجمل تبدو جديدة.

---

[1]- ينظر د. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب.ص 82.

[2]- ينظر السابق ص 92.

[3]- ينظر شكري محمد عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي دار العلوم للطباعة والنشر الرياض ط1 1985 السعودية ص 16.

[4]الاسلوبيات وتحليل الخطاب،رابح بوحوش، ص37.

*التحكم الذاتي وهو استغناء البنية بنفسها عن غيرها، وإنتاجها يكون داخلي دون اعتماد العوامل الخارجية.

ب- **اللغة والكلام:**

وهما واقعين يعتمدهما النقاد والأسلوبين في تحليل الظاهرة الأدبية أسلوبيا.

ج- **الوظائف اللغوية الست:**[1]

وهي اتجاه جاكبسون في الخطاب من شكل التخاطب في نظرية الإخبار التي دقق عناصرها الستة، وهي: المرسل والمرسل إليه والرسالة، وهي محتوى الإرسال تستند إلى سياق، وسنن يشترك فيها طرفا الجهاز، وقناة وهي الرابط بين المرسل والمرسل إليه.

د-الوحدات الصوتية المميزة:[2]

يرمي هذا الاتجاه إلى إبراز الوحدات الصوتية موازية لثنائيات من الكلمات التي استبدلت وحداتها الصوتية بوحدات أخرى تغير معنى الكلمة، وتعرف هذه الثنائيات بالأزواج الدنيا التي لا تجد هذه الوحدات قيمتها إلا في صلبها " كسار وصار، ""قال ومال" " خَلق وخُلق"

هـ-الدال والمدلول:

وهي ثنائية من أهم ثنائيات علم الدلالة ، وهي علامة لسانية تصدر مكوناتها الأساسية أصواتا عن الإنسان، انتهى سوسير على أنها اعتباطية تقوم على التواطؤ العرفي.

و-القيمة الاختلافية:

"مفهوم ينطلق من كون الدوال لا تعرف من خلال خصائصها الأساسية، وإنما يتم ذلك من خلال تمايزها واختلاف بعضها عن بعض ككلمة الحب التي هي وحدة ذات دلالة ليس لشيء في ذاتها، لكن لوجود (الكره)...وهذا ما ينسحب على قول القدامى" بالأضداد تبين الأشياء"[1].

---

[1] ينظر الأسلوبية والأسلوب، جاكبسون،ص77.

[2] ينظر : النقد الأدبي والعلوم الإنسانية، فهد عكام، ص111.

ز-الآنية والزمانية:

مفهوم جاء به سوسير لتحويل الاهتمام من الاعتناء بالرؤية التاريخية التطورية التي تهتم بترابط العناصر وتعاقبها إلى الرؤية الآنية التي تهتم بحالة من الحالات في زمان زمكان محددين.

ح-محورا التأليف والاختيار:هو حركية نفعية على مستوى العلاقات بين الوحدات اللغوية، ويتحكم في السلسلة الكلامية هذه قانون الضغط، والذي من خلاله يتحقق التركيب" وقد يكون التحرك أفقيا يعتمد التجاوز بين الكلمات بحسب قوانين النظم ككلمتي "جاء" و"الرجل" يمكن التأليف بينهما جاءالرجل، لأن الكلمات في المحور التأليفي تؤسس وظائفها على علاقاتها بمجاورتها لما سبقها...وقد يكون التحرك عموديا يعتمد علاقات الغياب، وهي عملية طبيعية إيحائية تقوم على إمكان استبدال أية كلمة بكلمة أخرى، وهي ممارسة اختيارية تحدث انطلاقا من السلسلة العمودية"[2].

أما ما عاب الأسلوبية البنيوية هي إفراطها في الاعتناء بالشكل دون المعنى، أي الاهتمام بالبنية دون الجلالة، وهي مسألة مهمة في الأبحاث اللغوية الخاصة كما أخرجت من دائرة اهتماماتها فضاء الخطاب ، فحرمت الفعل الأدبي واللغوي من جانب مهم من حياته. ونعني هنا بفضاء الخطاب لكل العوامل والمؤترات، والظروف التي تساعد على فهم الخطاب الأدبي ، والولوج إلى أسراره والكشف عن عمقه وجمالياته.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

---

[1] الأسلوبيات وتحليل الخطاب ، رابح بوخوش، 39.

[2] المرجع السابق، ص40.

المحاضرة الرابعة:

الأسلوبية الإحصائية

د- الأسلوبية الإحصائية:

يقوم هذا الاتجاه من الأسلوبية على إمكانية الوصول إلى السمات الأسلوبية لأثر أدبي ما عن طريق الكم، وتوزيع أبعاد الحدس إلى القيم العددية، وتركز لتحقيق هذا الهدف بإحصاء العناصر المعجمية في الأثر، أو تركيز على طول الكلمات والجمل من عدمه، أو العلاقات بين النعوت، والأسماء، والأفعال([1]).

وهي بذلك لا تساهم في تحديد القرابة الأدبية فقط، بل تركز على تخليص ظاهرة الأسلوب من الحدس الخالص، لتوكل أمرها إلى الحدس المنهجي([2]).

SAHLA MAHLA
مذكرات التخرج في الجزائر

ولقد خص د.نور الدين السد هذا الاتجاه بالذكر "إن الإحصاء الرياضي في التحليل الأسلوبي هو محاولة «موضوعية مادية» في وصف الأسلوب، وغالبا ما يقوم تعريف الأسلوب فيها على أساس محدد «فول فوكس»: « نقيم الأسلوب كما يأتي في نطاق المجال الرياضي بتحديده من خلال مجموع المعطيات التي يمكن حصرها كميا في التركيب الشكلي للنص»، وحينما يتم تحديد الأسلوب بأنه تردد الوحدات اللغوية التي يمكن إدراكها شكليا في النص، فهذا يعني أنه يمكن إحصاء هذه الوحدات اللغوية وإخضاعها للعمليات الرياضية، إن النسبة بين عدد ورود الكلمة في نص ما، والمجموع الكلي يمكن تمثيلها عدديا، وهذا يسهل مقارنتها بالنصوص الأخرى»([3]).

لم يسلم هذا الاتجاه الأسلوبي من النقد والتشكيك في فاعليته وجدوى الدراسات الإحصائية المستخدمة في الوصف والتصنيف للآثار الأدبية.

---

[1]- ينظر هنريش بليت البلاغة والأسلوبية ترجمة وتقديم وتعليق د.محمد العمري ط1 منشورات دراسات أسال فاس 1989 ص 37.

[2]- ينظر نفسه ص 37.

[3]- د. نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعري ص 97.

لكن أقر النقاد العرب على ضرورة توظيف الإحصاء في التحليل الخطاب الأدبي وهذا محمد العمري يقول في كتابه تحليل الخطاب الشعري «يعتبر الكم في حد ذاته عاملا من عوامل البروز والظهور فالمواد التي تتكاثف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلة بإثارة الانتباه بكميتها نفسها»([1])، وعليه نجد محمد الهادي الطرابلسي يقسم بحثه" في منهجية الدراسة الأسلوبية" إلى قسم نظري عرض فيه العلاقة بين جانب الانطباع وبين جانب الإحصاء، وقسم تطبيقي درس فيه نموذجا متمثلا في جملة في وصف أكول من كتاب " البخلاء" (إذا أكل ذهب عقله وجحظت عينيه، وسكر وسدور انهر وتربد وجهه، وعصب ولم يسمع ولم يبصر)[2]،وبعد تفسيرها وتحليلها أسلوبيا يعرض مايلي:[3]

-أحداث عشرة هي عنوان حركة نشيطة.

-هذه الأحداث مسندة إلى فاعل واحد هو الأكول أو بعض متعلقاته(عينه وجهه)، فالأكول الموصوف هو وحده محور كامل المشهد.

-القضية في جميع هذه الأحداث هي عملية الأكل: فعل جملة الظرف يخبر عنها وأفعال جملة الجواب تخبر عن نتائجها، فالأكل وحده الذي يقتضي من الأكول استفراغ الجهد، وهو وحده الذي يملأ حياته.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

-سبعة من هذه الأفعال ثلاثية مجردة فقط مزيد،إلا أن الزيادة فيها ليست ذات بال (انهر وتربد) تفيد الزيادة فيهما وقوع الفعل و(لم يبصر) تفيد الزيادة فيه معنى المجرد فالمشهد معرى من المستندات والحيثيات .

-كل هذه الأفعال لازمة تكتفي بفاعل واحد، هو الأكول أو بعص متعلقاته، فهي إذن أحداث منطلقة منه، راجعة إليه، بل عيه.

-اشترك كل الأفعال –من حيث الدلالة اللغوية-في فقدان كل وسائل الصلة-العالم الخارجي والإنغلاق على النفس-فقدان المعرفة الحسية(لم يسمع، لم يبصر..)، فقدان المعرفة الذهنية(ذهب عقله...)، فقدان الوعي عامة(سكر، سدر...).

---

[1] – محمد العمري: تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية في الشعر ، الكثافة، الفضاء، التفاعل ط1 الدار العالمية للكتاب الدار البيضاء 1990 المغرب ص 99.

[2] البخلاء ، الجاحظ، ص 79.

[3] ينظر:الأسلوبية وتحليل الخطاب، نورالدين السد، دار هومة، ص101-102.

فقد أصبح الأكول أمة يرأسها أو كوكبا بذاته وقد خرجت كامل الصورة في جملة تلازمية طريفة غير متوازنة الشقين:

1-كل فعل فيها يشكل جملة تشترك مع بقية الجمل في البساطة المثلى واطراد الأفعال بهذه الصورة يعرب عن تولد بعضها عن البعض الآخر.

2-وكل هذه الجمل تشترك طبعا في الفعلية الخالصة المصورة لحركة مسترسلة.

3-إلا أن جملة الظرف تتكون من جملة واحدة (أكل)بينما تتكون جملة جواب الظرف من تسع جمل متعاطفة.

هذه الأحداث –علاوة على ذلك-تخضع لموسيقى خارجية وداخلية متميزة يصور الخارجية منها الرسم التالي:

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

إذا أكل
- ذهب
- جحظت عينه
- سكر
- سدر انبهر
- تربد وجهه
- عصب
- لم يسمع لم يبصر

إن التحليل الإحصائي للأسلوب يهدف إلى تمييز السمات اللغوية فيه وذلك بإظهار معدلات تكرارها ونسب هذا التكرار، ولهذا الطريقة في التحليل أهمية خاصة في تشخيص الاستخدام اللغوي عند

المبدع وقد نهج محمد العبد في بحثه"سمات أسلوبية في شعر صلاح عبد الصبور" هذا المنهج فأقام البحث على أساس خطوتين متتابعتين متكاملتين.

1-الوصف اللغوي المجرد للمثيرات اللغوية ذات القيمة الأسلوبية، وقد لجأ الباحث إلى الإحصاء لقياس معدلات تكرار المثيرات أو العناصر اللغوية الأسلوبية قلة وكثرة.

2-وصف التأثيرات الإخبارية الدلالية والجملية لتلك المثيرات، ويضاف إلى ذلك تحديد قيمها الأسلوبية في ابداع المعنى سواء من خلال الصيغ التي تصاغ فيها الخبرات والتجارب أو من خلال التراكيب اللفظية التي يقدم امكانات مساعدة على إبداع المعنى من خلال إجتماع الألفاظ في وحدة عليا، وقد اعتمد محمد العبد الشروط الثلاثة التي حددها "زايدلر" لبيان نظام القيمة وهي :

-الانطلاق من معرفة اللغة

-تأمل الجانب الإنساني في صورنه اللغوية

-النظر إلى فن اللغة بصفة منظومة من الطلاقات الأسلوبية والعناصر الأسلوبية.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

المحاضرة الخامسة:

الأسلوبية النفسية

عني هذا الاتجاه بمضمون الرسالة ونسيجها اللغوي مع مراعاتها لمكونات الحدث الأدبي، الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان والكلام والفن، ويعد "ليوسبيتزر" « Léospitezer » من أهم مؤسسي الأسلوبية النفسية([1]).

وقد تأثر هذا الأخير بـ"فرويد" في دراساته حول خصائص أسلوب أديب ما ترتبط بأفكار وعواطف سائدة لديه، وهو يرى أن الحالة النفسية للأديب تؤدي إلى نحو ما من الاستعمال اللغوي وتكون بداية التحليل عند إحدى التفصيلات اللغوية التي تتصل بتفصيلات أخرى بشكل تلقائي تساعد الناقد الأسلوبي على الحركة نحو المركز حيث الجذر النفسي للكلمات والعمل الأدبي الذي يؤدي إلى نفسية صاحبه([2]).

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

لم يساعد تأثر "ليوسبيتزر" بفرويد في نشأة الأسلوبية النفسية فقط بل وجود "الأسلوبية التعبيرية التي كانت تهتم بالكلام المحكي واللغة المنطوقة لا اللغة الأدبية "([3])، دور فاعل إذ مهدت لظهور هذا الاتجاه الأسلوبي. وأسلوبية "ليوسبنزر" تهدف إلى الكشف عن خفايا عملية الإبداع ونفسية الفنان. وليس الوقوف على الخصائص الأسلوبية لأديب ما.

مما جعله يتراجع عن بحث الحالات النفسية وشرح أساليب المؤلفين انطلاقا من مراكزهم العاطفية، ورأى أن تحليل الأسلوب يخضع لتفسير الآثار بحد ذاتها دون اللجوء إلى مزاج المؤلف لكن "سبيتزر" لم يتخل تماما عن الأسلوبية النفسية التي كانت وسيلة في التعامل مع النص الأدبي([4]).

---

[1]- ينظر د. نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 67 و 68.

[2]- ينظر نفسه ص 71.

[3]- ينظر د.نور الدين السد الأسلوبية وتحليل الخطاب ص 67.

[4]- ينظر نفسه ص 72.

إذ يمكن رصد الملامح النفسية للكاتب المفكر والمتأمل الحالم فدارس الأسلوب يعتمد إلى اكتشاف البيئة الثقافية والجمالية للنص بتحديد مختلف الحقول الدلالية([1]).

ومن أبرز مبادئه اللغوية الحدسية التي رفض فيها المعادلات التقليدية بين اللغة والأدب ما يلي:

1- معالجة النص تكشف عن شخصية مؤلفه.

2- الأسلوب انعطاف شخصي عن الاستعمال المألوف للغة.

3- فكر الكاتب لحمة في تماسك النص.

4- التعاطف مع النص ضرورة للدخول إلى عالمه الحميم([2]).

أشارت الباحثة عزة آغا ملك في البحث لها بعنوان " منهجية ليوسبيتزر في دراسة الأسلوب الأدبي"، إلى أهم القضايا المحورية في منهج ليوسبيتزر وهي أن سبيتزر علق أهمية كبيرة –في مجمع أبحاثه- على الكاتب أو الفاعل المتكلم الذي يتناول اللغة بطريقة خاصة، وكانت الأسلوبية النفسية وسيلة في التعامل مع النص الأدبي، فهي عنده تكتسي أهمية قصوى، لأنها تمتلك طواعيه التوجيه إلى مختلف الميادين في النص فبالأسلوبية النفسية.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

-المنطلقات العلمية في الدراسة النفسية:

وكان سبيتزر يدعو إلى الاستعانة بعلم الدلالة التاريخي في دراسة الأسلوب الأدبي لأنه يتيح للباحث فهم شخصية الكاتب ويتيح له أيضا التعمق في الكلمات نفسها التي يستعملها كاتب ما في حقبة تاريخية معينة، وقد "نجد سبيتزر يحاول أن يكتمل في دراسته البعد الموضوعي التجريبي ببعد علائقي، رابطي يختص ليس فقط بعلاقة الأديب مع قارئ النص أو شارحه بل بعلاقة هذا الشارح مع نفسه"[3] فدراسة الأسلوب عند سبيتزر تراعي المنطلقات العلمية التالية[4]:

1-على دارس الأسلوب أن يجلو الغموض عن النص انطلاقا من معرفته التجريبية وذلك بشكل ايجابي محدود.

---

[1]– ينظر نفسه ص72.

[2]–ينظر نفسه ص 77.

[3]الأسلوبية وتحليل الخطاب، نورالدين السد، ص73–74.

[4]المرجع نفسه، ص74.

2-على دارس الأسلوب الأدبي أن يثري طريقته في الممارسة، فالعمل الإيجابي لا يتسم بعامل الحركة والتفوق على الذات مالم يقترن بالتأمل المنهجي.

3-على دارس الأسلوب أن يراعي الجانب الفلسفي في علمه وذلك بتحديد موقفه الذاتي من العالم بكليته، فبالنسبة إلى خضوعه لموضوع معين عليه أن يؤمن الإنطلاقة اللازمة من خلال عمله وأن يضمن لنفسه تحررا شبيها بذلك التحرر الذي يشعر به الفنان عقب إتمام تحفة أو عمل رائع.

4-على دارس الأسلوب أن يراعي الجانب الإنساني الاجتماعي وذلك بإقامة لقاء جدلي بين الكاتب وبين انسان آخر يوجه له البحث كل سطر فيه أن ينوه بوجود هذا الآخر ويستشهد به ويثيره.

5-على دارس الأسلوب أن يراعي في درسه ما يتسم به الخطاب الأدبي من عوامل تبدو أنها تافهة فالعمل الأدبي في جوهره هروب من الشيء التافه ونقض له فلا يحق لدارس الأسلوب أن يهمل أي عنصر من عناصر النص الأدبي وإن كان يبدو ميتا ولا فعاليه له في النص.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

المحاضرة السادسة:

الظواهر الأسلوبية(الانزياح والمفارقة)

الظواهر الأسلوبية:

رغم الاستقرار النّسبي الذي شهده المصطلح النقدي العربي منذ القرن التاسع عشر، هزته في العقد السابع منه ثورة عنيفة، تدفق من خلالها كَمٌّ هائل من المصطلحات على المعجم العربي، رسم طريقا جديدا في المعالجة النقدية، أهمها المصطلحات اللسانية الحديثة والسيميائية، إضافة إلى مصطلحات نقدية من علوم الاجتماع و النفس والفلسفة.

ولقد أدّى هذا الاضطراب إلى عدم الاستقرار في علم المصطلح ترجمة ومفهوما، فكان من الضروري مجابهة هذه الفوضى بتنظيم من قبل الممارسين في الحقل النقدي والمصطلحاتي.

SAHLA MAHLA

بدأت بعض المحاولات والجهود المبثوتة، سواء فردية أو جماعية لضبط المصطلح النقدي وضعا وترجمة وتعريبا، وبمرور الوقت تعاظم شأن هذه الجهود فأصبحت معاجم تعمل على توجيه الدارسين وعلى تحديد مجال بحثهم بدقة، وإضافة إلى هذه المعاجم أُنْشِئت هيئات لتعريب الكتب التابعة للجامعة العربية، فكانت خدماتها جليلةً للمصطلح النقدي والبلاغي، فاسحة المجال واسعا أمام الباحثين والمترجمين لنشر الكثير من المعجمات الاصطلاحية الجادة[1]، ويمكن أن نشير في هذا السياق إلى جهود محمد رشيد الحمزاوي ومحمد مندور وتمام حسان وحمادي صمود، وعبد السلام المسدى.

1-ظاهرة الانزياح:

إن مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسات الأسلوبية المعاصرة، وهو لغة: مصدر للفعل "انزاح" أي ذهب وتباعد[2]، وهو يمثل أحسن ترجمة "المصطلح الفرنسي "Ecart" ، إذ أن هذه

---

[1]- ينظر: رسالة المكتب الدائم لتدقيق التعريب في الوطن العربي، الخطابي محمد، مجلة 3اللسان العربي، المجلد العاشر، الجزء الثاني، يناير، الرباط، المغرب، 1973، ص15-36.

[2]-ينظر: لسان العرب، مادة زيح.

الكلمة تعني في أصل لغتها "البعد"، فهو « فن القول الذي يبتعد عن المعيار»[1]، كما قد تكون حاملة لمعنى الفارق، أي الفارق الحاصل بين القول العادي والقول الفني .

أما أقدم استعمال للفظة انزياح فقد كان « فيما وقع عليه بصرنا، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في تعريب لمصطلح فرنسي هو "Descent de la matrice" ، وقد عرب بـ "انزياح الرحم" »[2].

ورد الفعل انزاح مرتين في ترجمة لكتاب "ويليك ووارين" نظرية الأدب، والانزياح مرة واحدة، والجدير بالذكر أن لفظة "Ecart" مصطلح أسلوبي تنازعته ترجمات عدة في الدراسات الأسلوبية العربية، فقد تقدمتها محاولات عبد السلام المسدي، وكانت ترجمته للمصطلح بـ "التجاوز" لكن سرعان ما عدل إلى الانزياح، الذي ظهر بشكل مكثف في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" وكذا في أطروحته للدكتوراه "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، رغم هذا عمد إلى ترجمة المصطلح بالعدول في "قاموس اللسانيات".

أما محمد الولي ومحمد العمري، فيعتمدان في ترجمة كتاب "جون كوهن" على مصطلح الانزياح بشكل كبير « ويمكن أن نشخص الأسلوب بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين، القطب النثري الخالي من الانزياح، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة»[3]. وما ينبغي الإشارة إليه في سياق حديثنا على الاختلاف الحاصل في ترجمة مصطلح "Ecart" بالانحراف أو الانزياح، « هو أن ما يغلب على هؤلاء الذين استعملوا الانزياح هو اعتمادهم ثقافة فرنسية: استقاء أو ترجمة. على حين مال إلى الانحراف في الغالب أولئك الذين غلبت عليهم المصادر الانجليزية، فهذه لا تحوي إلا كلمة **"Deviation"**، وهي كلمة تناسبها كلمة الانحراف، على حين أنا وجدنا "Ecart" يناسبها الانزياح، وهي كلمة فرنسية غير موجودة في الانجليزية»[4]، ولاضير في أن يتناوب مصطلحان على مفهوم واحد مثل مفهوم الانزياح، ولكن الحرج في كثرة المصطلحات التي يضيع في طياتها التدقيق.

يقودنا المقام إلى المفاضلة بين المصطلحات الثلاث المذكورة، فنفضل الانزياح الذي يعد بحق ترجمة دقيقة للمصطلح الفرنسي "Ecart"، « وإذا صح أن جرس اللفظ، يمكن أن يكون له تعلق بدلالته، فإن تشكيل "الانزياح" الصوتي وما فيه من مدّ، من شأنه أن يمنح اللفظ بعدا إيحائيا يتناسب، ما يعنيه في أصل جذره اللغوي من التباعد والذهاب»[5]، وفي هدا الرأي إشارة إلى المواءمة الحاصلة بين المستويين الصوتي والدلالي.

---

[1]–بنية اللغة الشعرية ، جون كوهين، ص27.

[2]–الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص49.

[3]–بنية اللغة الشعرية، جون كوهين، ص24.

[4]–الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص56.

[5]–المرجع السابق، ص56.

SAHLA MAHLA

تلك هي أهم المصطلحات المتعلقة بالمفهوم، والتي شاع استخدامها في الكتب سواء النقدية والبلاغية أو غيرها، إلا أن هناك أوصافا تقتبس معانيها ووظائفها من الانزياح أهمها: الإزاحة والكسر والغرابة والأصالة والمفارقة الانتهاك والخرق.

نكاد نجزم بأن المصطلح البلاغي بشقيه التنظيري والتداولي مازال يكابد الاضطراب والتداخل اللذين من شأنهما أن يذهبا باستقرار المصطلح، وأمام هذا الوضع حريٌّ بممارسي التحليل الأسلوبي أن يَنكَبُّوا على فض النزاع بين المصطلحات ورسم حدودها دون نسيان ضرورة التعايش فيما بينها باعتبارها إجراءات تترجم النص وتحل نظام الشفرات فيه، ومن بين أهم ما يجب أن يتقيد به الباحث في ميدان المصطلح ما يلي:

- الاعتماد على فحص المصطلح البلاغي الموروث، والعمل على إعادة تشغيله لتفادي القطيعة بين المصطلح القديم والمصطلح الحديث.
- إقصاء المصطلحات التي كانت وليدة الاعتباطية وتحديد آثارها السلبية على الممارسة النقدية.
- محاولة نشر الثقافة المعجمية والمصطلحاتية.
- تحديد مهمة الباحث العربي الحديث، والتأكيد على أنها لا تقتصر على الترجمة فحسب، وإنما تتعدى إلى المصطلح الجديد.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

التأكيد على أن المصطلح ليس مجرد وحدة معجمية اعتيادية، وإنما هو مسألة معرفية "ابستيمولوجية" ومفهومية قبل كل شيء، ولذا يفضل أن يدعم المصطلح بتحديد دلالي يبين مجال استعمال المصطلح وحمولته المعرفية والمفهومية. إنّ مفهوم الانزياح باعتباره لذة معرفية إنسانية تحمل كثير من الدلالات الفكرية، تحمل الإنسان على الإيمان بعمق التجربة المتفردة بكل أوجهها دون استثناء، ويسير بنا هذا الطرح إلى وحدوية الدلالة لدى المصطلح، وهو دليل على سلامة صناعته، والتي ستحدد بدورها مكانه الأصلي في النقد الأدبي دونما خرق لحدود المصطلحات المجاورة، إلا أن الفصل بين الانزياح وأوصافٍ تعلقت به يشكل تحدياً كبيرا للنقاد والأسلوبيين، فأصبح «من البديهي أن تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا، ولكن كثرتها تلفت النظر حقا، فهي ليست بطارئة في الكتب العربية فحسب، بل إنها غريبة المنشأ أصلا »[1].

لقد أورد عبد السلام المسدي[2] طائفة من تلك المصطلحات ، شاع استعمالها عند أصحابها أو عند من تبنوها، وذلك على نحو الآتي :

---

[1]-الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية الحديثة أحمد محمد ويس، ص30.

[2]-الأسلوبية والأسلوب، ص100-101

الانزياح	L’ecart	لفاليري
التجاوز	L’abus	لفاليري
الانحراف	La deviation	لسبيتزر
الاختلال	La distorsion	لويلك ووارين
الاحاطة	La subversion	لباتيار
المخالفة	L’infraction	لتيري
الشناعة	Lz scandale	لبارت
الانتهاك	Le viol	لكوهن
خرق السنن	La violation des normes	لتودوروف
العصيان	La transgression	لآراجون
اللحن	L’incorrection	لتودوروف
التحريف	L’alteration	جماعة "مو"

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

لم يتقيد الأسلوبين بمصطلح أو مصطلحين، بل وظفوا الكثير منها في سياق حديثهم عن ظاهرة الانزياح، بحثا منهم للإلمام بكل أبعاده، فجون كوهين فضلا عن اعتماده لمصطلحات، كالانزياح في قوله « الورود المتواتر للانزياح في القصيدة لا يؤكد بأنه يمثل الشرط الضروري الكافي للواقعة الشعرية »[1]، والخرق في قوله: « ففي رأينا أنه لا يكفي فعلا خرقُ القواعد لكتابة قصيدة »[2]، والانحراف في قوله: «فماذا يعني في الواقع، إن هو لم يكن انزياحا مقننا، وقانونا للانحراف بالقياس إلى المعيار الصوتي في اللغة المستعملة»[3]، والشذوذ في قوله: « والأمر الأولى الذي سنبني عليه هذا التحليل هو أن الشاعر لا يتحدث كما يتحدث الناس جميعا بل إن لغته شاذة، وهذا الشذوذ هو الذي يكسبها أسلوبا»[4] والخطأ

---

[1]-بنية اللغة الشعرية، ص191.

[2]-المرجع نفسه، ص193.

[3]- نفسه، ص16.

[4]- نفسه، ص15.

في قوله: « إنّ الأسلوب خطأ، ولكنه ليس كل خطأ أسلوبا »[1]، وهذا الموقف الذي تبناه كوهين سمح له بإقصاء سلسلة من المصطلحات تشوش الرؤية الصحيحة للظاهرة في سياق الشعرية.

أضاف «صلاح فضل إلى ذلك كلمة "كسر" ونسبها إلى من نسب المسدي إليه "المخالفة" وهو تيري، ونسب إلى بارت كلمة أخرى غير كلمة الشناعة التي ذكرها المسدي آنفا وهي "الفضيحة" ونسب إلى تودوروف كلمة "شذوذ" بينما نسب المسدي إليه "اللحن" وخرق السنن، أما إلى آراجون فنسب كلمة "الجنون" »[2].

اتسعت رقعة المصطلح الانزياحي مع عدنان بن ذريل عندما تعرض لعدة مصطلحات، نشير إلى ما زاد بها عن المسدي وهي: الجسارة اللغوية، الغرابة، الابتكار، الخلق، أما صلاح فضل فقد اختار مصطلح الانحراف في غالب تآليفه*، كما أشار إلى معادل بلاغي قديم وهو "العدول" الذي تبناه عبد السلام المسدي في كتاباته.

ونتيجة للتطور المعرفي النقدي العربي، اتسعت مساحة مصطلح الانزياح، إذ تعلقت به أوصاف ومصطلحات أخرى « لا يمكن أن تضاف إلى ما مضى من مثل : الانكسار، انكسار النمط، التكسير، كسر البناء، الإزاحة، الانزلاق، الاختراق، التناقض، المفارقة، التنافر، مزج الأضداد، الإخلال، الاختلال، الخلل، الانحناء، التغريب، الاستطراد، الأصالة، الاختلاف، فجوة التوتر»[3]، مخافة اتساع رقعة تنوع المصطلح، وبالتالي صعوبة بل استحالة تحديد معالم المادة المعرفية.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول للمذكرات المتوج في الجزائر

إن المتأمل لهذا الزخم المصطلحاتي يجد نفسه مضطرا لغض الظرف عن الكثير من المصطلحات، إما لأنها لا تُضيف جديدا للمصطلحات الشائعة، أو لأنها بعيدة جدا عن اللباقة التي ينبغي للأدوات النقدية أن تتسم بها، كما أننا لسنا في موقف المضطر كي نقبلها، ولعل شعور كل فئة بأنها الأحق بأن تتبع، وأنها الرائدة في ميدانها، سبب مباشر لهذه الفوضى والتشابك بين المصطلحات وتعددها، ورغم هذا تبقى محاولات جادة هدفها إثراء مجال البحث المصطلحاتي، ومن تم تحديد أبعاد البحث الأسلوبي والانزياحي.

-المفارقة:

ولهذا المصطلح جذور فلسفية بحتة، ويتأكد هذا بمعرفتنا لأصل كلمة paradox اليوناني، وهو يتألف من مقطعين: من para وتعني المخالفة أو الضد ومن الجدر doxa، وتعني الرأي، فيكون معنى

---

[1]- نفسه،ص 193.

[2]-الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية الحديثة، ص32.

*-خصوصا في كتابه "بلاغة الخطاب وعلم النص"

[3]-الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية الحديثة، ص33.

اللفظة: ما يضاد الرأي الشائع[1]. كما ورد في معجم المصطلحات العربية أن المفارقة في الفلسفة هي «إثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما بالاستثناء إلى اعتبار خفيّ على هذا الرأي العام حتى وقت الإثبات للمفارقة التاريخية»[2]، كما جاءت المفارقة بمعنى الرأي «الغريب المستفز المعبر عن رغبة صاحبه في البروز، وذلك بمخالفة موقف الآخرين وصدمهم فيما يسلمون به »[3]، فالمفارقة احتمال تعبيري ذكي يحمل الكثير من المهارة اللغوية، وتتحدد حركيتها بين الطرفين« صانع المفارقة وقارئها على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تثير القارىء وتدعوه إلى رفض معناه الحرفي، وذلك لصالح المعنى الخفي ... وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض، بحيث لا يهدأ للقارىء بال إلا بعد أن يصل إلى المعنى الذي يرتضيه»[4]، فالمفارقة مصطلح يلامس الانزياح في انحرافه عن العادي إلى الخلق اللغوي.

يزيد المسدي في قوة العلاقة بين المفارقة والانزياح بما نقله عن رينيه ووارين حيث «ربطا مفهوم الأسلوب بمجموع المفارقات التي نلاحظها بين نظام والتركيب اللغوي للخطاب الأدبي وغيره من الأنظمة وهي مفارقات تنطوي على انحرافات ومجازفات، بها يحصل الانطباع الجمالي»[5]، فالشاعر لا يتسن له الكشف عن حقيقة الشعر والشاعر إلا عبر أسلوب المفارقة، وذلك بتحقيق التوازن وفهم التناقضات التي يختزنها داخل الإنسان، أما اتجاه عبد الرحمان نصرت، فنجده يؤكد فيه أن «الخروج على قواعد المنطق محمود في الأدب، ولذا حمد النقاد الشكليون المفارقة والتناقض والتوتر وعدّوها من علام الشعر الجيد »[6]، وعليه ليس كل شاعر بإمكانه توظيف فلسفة المفارقة، فهي نظرة جوهرية عميقة ، يشترط أن تكون سلوكا وشعورا وفكرا في منهج الشاعر.

لقد ترجم كمال أبو ذيب مصطلح Paradox بالمفارقة الضدية[7]، وفي هذا السياق و ما يجب الإشارة إليه هو وضوح العلاقة القائمة بين الانزياح والمفارقة ، مهما اختلفت ترجمتها، وقد بين شكري عياد بأن المفارقة «لا تنحصر في وصف ما عليه الشعر، بل تقرر ما به يكون الشعر شعرا، أي أنها تقدم لمن يقبلها معيارا للحكم بجودة الشعر أو رداءته»[8]، فالمفارقة تشتغل عند شكري في المستوى الجمالي بعيدا عن الإبلاغي، وتعمل على التكثيف الدلالي لتقدم للشعر حق الريادة والتميز.

---

[1]–ينظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ط3 دار الثقافة الجديدة 1979م، ص417.

[2]–المرجع نفسه، ص 376.

[3]– المعجم الأدبي، عبد النور جبور، ط1، دار العلم للملايين بيروت 1979م، ص258.

[4]–المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، ذار الشرق للنشر، ص46.

[5]–الأسلوبية والأسلوب، ص102.

[6]–في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية وأصولها الفكرية، نصرت عبد الرحمان، ط1، مكتبة الأقصى عمان 1979م، ص61.

[7]–المرجع نفسه ، ص61.

[8]–دائرة الإبداع ، شكري عياد، ص23.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

وعلى ضوء ما سبق، فإن تعدد المصطلح يبقى إيجابيا دون غض الطرف عن السلبية، وسلبيا دون إهمال الإيجابية، فالممارس في المجال المعرفي عليه أن يدرك حقيقة وماهية الحد الفاصل ليقف عنده. هذا الحد الفاصل ما بين الذاتية والموضوعية المصطلحية لخدمة المجال البحثي،فإذا كانت كل هذه المراحل قد شكلت البعد التنظيري لمصطلح الانزياح في الدراسات الأسلوبية الحديثة، واستقرت في المرجعية التعريفية الحقيقية له، باعتباره مصطلحا نقديا قائما بذاته ساهم في التشكيل الأسلوبي للخطاب، ألا يجدر بنا البحث في الجانب التطبيقي عن حقيقة حركية ونصّية الانزياح في الخطابات المختلفة.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

المحاضرة السابعة:

ضبط مفهومي النص والخطاب

1-مفهوم النص:

تعددت التعريفات العربية والغربية التي شرحت مفهوم النص ومدلولاته، ولكن من الضروري في البدء الكشف عن الدلالة اللغوية لكلمة (نص) في اللغة العربية والغربية وفقاً لما أوردته المعاجم، لتلمس نقاط التشابه والاختلاف، وذلك " لأن اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة بشكل عام"([1]).

أورد الفيروز آبادي في مادة (نصص) قوله : "(نص) الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع : جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً :استقصى مسألته عن الشيء، والعروس أقعدها على المنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشواء ينص نصيصاً: صوّتَ على النار، والقدر غلت، والمنصة بالفتح الجَمَلَة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما، وسير نُصٌّ ونصيص جدٌّ رفيع، وإذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى:أي بلغن الغاية التي عقلن فيها، أو قدرن على الحقاق وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغرهن، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، وحية نصناص أي كثيرة الحركة ونصص غريمه، وناصه:استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله والبعير أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض" ([2]).

([1]) د.نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998، ص178.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، ج1، مادة (نص)، ص 858.

وفي مختار الصحاح للرازي مادة (ن .ص .ص) " في حديث علي رضي الله عنه: " إذا بلغ النساء نص الحقاق " يعني منتهى بلوغ العقل و(نصنص):الشيء:حركه. وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه حين دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو ينصص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد" ([1]).

وفي لسان العرب لابن منظور :" (النص) رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً : رفعه. وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ. ووضع على المنصة : أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل : نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام" ([2]) .

أما في مادة (نص) في المعجم الإنجليزي، فقد ورد لفظ (Text)، وهو بالفرنسية، (Texte)، وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية، من اللفظ (Textus)، والتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبط بـ (Textile)، والتي ترتبط بآلات وأدوات النسج. وقد ورد في معنى لفظ (نص) (Text) ما ترجمته:

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

- " الجمل والكلمات نفسها المكتوبة (أو المطبوعة أو المنقوشة) أصلاً، الكتاب أو المخطوطة أو النسخة التي تضم هذا.

- البنية التي تشكلها الكلمات وفق ترتيبها.
- مضمون البحث (حول موضوع ما)، الجزء الشكلي (أو الرسمي) المعتمد.
- الجمل والكلمات نفسها من الإنجيل.
- قطعة قصيرة من الأناجيل، يستشهد بها المرء كمصدر موثوق أو كشعار أخلاقي أو كموضوع شرح أو موعظة أو حكمة أو بديهة أو مثل أو قول مأثور أو نصوص يستشهد بها.
- في استعمال لاحق ... ... يستخدمها المرء كاسم للكتاب المقرر الدراسي.
- عملية أو فن النسج [الحبك] ، إنتاج نسيج محبوك، أي بنية طبيعية لها المظهر أو التكوين النسجي، مثلاً نسيج العنكبوت.

([1]) الرازي، مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1999، مادة (نص)، ص 381-382.

([2]) ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، 1979، ج13، مادة (نص)، ص 97-98.

- تركيب أو بنية مادة أي شيء مع مراعاة عناصره التشكيلية المكونة أو الخصائص الفيزيائية... للأشياء غير المادية، التكوين أو الطبيعة أو الخاصية الناجمة عن التركيب الفكري، كنسج خواص متنوعة.
- في الفنون الجميلة: تمثيل البنية وتحوير دقيق للسطح.
- أما النصية فهي التمسك التام بالنص خاصة الأناجيل"([1]) .

تعددت الدلالات عند الجانبين، ولكننا لا نصل إلى تحديد قاطع بمجرد إيراد الدلالة اللغوية لكلمة (النص)، ولا يجوز الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة في التعريف، لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب، هو السطح اللغوي البراني وظاهره الدلالي، دون الدخول إلى جوهره الباطني، فلا بد من تحليل ما ورد في الدلالة اللغوية، ورصد تطور اللفظ في الدلالة .

ومن استقراء الدلالات المتعددة الواردة في القواميس العربية يمكن القول إن الدلالة المركزية الأساسية للدال " نص " هي الظهور والاكتمال في الغاية، وهي تؤكد جزءاً من المفهوم الذي أصبح متعارفاً عليه في النص. ولا تزال هذه الدلالة بارزة في الاستخدام اللغوي المعاصر، وإذا أردنا أن نرصد التطور التاريخي لدلالة الكلمة نجد أن لفظ (نص)، يشتمل على مدلولات مادية وأخرى معنوية، فمن المادية ما وجدناه في الدال " منصة " والتي تعني المكان المرتفع البارز للناظرين، والنصّة وهي العصفورة بالضم وهي الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، والدلالة الحسية كما في نصت الدابة جيدها إذا رفعته، ونص الشيء حركه، ونص المتاع : جعل بعضه فوق بعض، ونص الدابة إذا رفع جيدها كي يحثها على السرعة في السير، والنص السير الشديد. ومن المعاني المعنوية نص الأمور: شديدها، ونص الرجل: سؤاله عن شيء حتى يستقصي ما عنده. وبلغ النساء نص الحقاق: أي سن البلوغ.

هذا وقد يستخدم النص أحياناً في معان اصطلاحية، كالنص في علم الحديث وهو التوقيف والتعيين، والنص في الكتابات الأصولية والفقهية هو القرآن الكريم، أو هو مجموعة من القواعد المستمدة من القرآن والسنة حيث تعتمد القاعدة الفقهية على: أن لا اجتهاد مع وجود النص، وهناك النص والرأي أو النقل والعقل.

---

[1] Webster's Third New International Dictionary of the English Language unbraided - Merriam- Webster INC. Publishers Spring field, Massachusetts, U.S.A. P 2365-2366.

ولم يقتصر الأمر بالنسبة لتعريف النص على ما ورد في المعاجم القديمة، فلقد تطور تعريف النص، وأصبحت المعاجم الحديثة تميل إلي تعريفه بشكل أشمل وأكثر إجرائية كما في معجم المصطلحات اللغوية للدكتور خليل أحمد خليل الذي يعرف النص (Text) بأنه :

" يعني في العربية الرفع البالغ ومنه منصة العروس.

* النص كلام مفهوم المعنى فهو مورد ومنهل ومرجع.

* التنصيص المبالغة في النص وصولاً إلى النص والنصيصة .

* النص (Textus) هو النسيج، أي الكتابة الأصلية الصحيحة، المنسوجة على منوالها الفريد، مقابل الملاحظات (Notes) والشروحات والتعليقات (Commentaries).

* النص: المدونة، الكتاب في لغته الأولى، غير المترجم، قرأت فلاناً في نصه، أي في أصله الموضوع.

* النص كل مدونة مخطوطة أو مطبوعة، ومنه النص المشترك (Co- Texte) .

* " سياق النص، مساقه، أجزاء من نص تسبق استشهاداً، (Citation)، أو تليه، فتمده بمعناه الصحيح .

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

يقال: ضع الحدث في سياقه التاريخي. أي: في مكانه الصحيح.

* التساوق (Contexture) هو التوالف بين أجزاء الكل: تناسق القصيدة، تساوق الكلام.([1]).

يتبين من الاستقراء لما سبق وجود فرق كبير في مفهوم النص بين التراث والمعاصرة، وإذا كان مفهوم النص في السابق يشير إلى الدلالة المركزية للفظ (النص)، وما به من ظهور واكتمال، وإلى تركبه من أجزاء مترابطة ومتحركة وقابلة للتفكيك عبر استقصاء مسألة الفرد لاستنطاق نصه، إلا أنه لا يؤدي إلى التعريف التام الذي تثبته الدراسات الحداثية، وما بعد الحداثية في التعامل مع النص كمصطلح دلالي وإجرائي وبالأخص الدلالة الفقهية للنص والذي قصرته المعاجم على ما دل ظاهر اللفظ عليه من أحكام للنص. فلقد مالت الدراسات الحداثية إلى الأخذ بالمفهوم الغربي للنص ولذلك تشابه تعريف د.خليل أحمد خليل مع المعاجم الغربية .

([1]) خليل أحمد خليل، معجم المصطلحات العربية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص136-137.

لقد تطورت دلالة النص، ولا يضير العربية عدم وجود تعريف محدد بدقة للنص. فلقد " أدرك عدد من المفكرين الغربيين أهمية هذا الأمر بعد سقوط البلاغة عندهم. ولذا، نرى أن (رولان بارت) مثلاً يرفض تعريف (تودورف) للنص وينتقد عليه قربه من البلاغة، لأنه كما قال: (خاضع لمبادئ العلم الوصفي)، ثم ينتهي إلى القول بعد تحليل طويل: "نفهم الآن أن نظرية النص موضوعة في غير مكانها المناسب في المجال الحالي لنظرية المعرفة ولكنها تستمد قوتها ومعناها من تموضعها اللامناسب بالنسبة إلى العلوم التقليدية للأثر الفني- تلك العلوم التي كانت ولا تزال علوماً للشكل أو للمضمون"([1]).

***النص والعرب القدامى:**

إن غياب التعريف بالنص عند العرب لا يعني عدم وجود جذور له في العربية أو عدم الاهتمام به، فالتعريف غائب ولكن ممارسته حاضرة. " وفي البلاغة العربية برزت النظرة الشمولية إلى النص لدى غير واحد من البلاغيين. فعندما يتاح لنا النظر – مثلاً - في كتاب " إعجاز القرآن " للباقلاني – أبي بكر المتوفى نحو(403 هـ)، نجده يفرط إفراطاً كبيراً في التأكيد على النظرة الشمولية للقرآن الكريم، مستبعداً جل ما رجح به البلاغيون _ قبله _ من ظنون في إشكالية الإعجاز، مؤكداً أن خصائص الرشاقة والأسلوب، التي تتكرر في القرآن الكريم كله، حيثما أنعمنا النظر هي سبب الإعجاز ومصدره، وليس الإعلام بغيب....

أما عبد القاهر الجرجاني توفي (471 هـ) ....، فقد دعا إلى النظرة الشمولية التي تمكن القارئ من الوقوف على جماليات النص الأدبي. فهو – في نظره – لا يستطيع أن يحكم على المزية فيه من قراءة البيت أو الأبيات الأولى، وإنما يقتضيه هذا النظر والانتظار حتى يقرأ بقية الأبيات وقد لا يستطيع أن يقف على أسرار النص ما لم يستفرغ جهده في تأمل القطعة الأدبية كاملة، وبعد ذلك يستطيع أن يتبين المزايا التي تجعله يقف على ما فيها من براعة النقش وجودة التصوير والتعبير....

أما ضياء الدين ابن الأثير توفي (637 هـ) فقد أنكر في كتابه " المثل السائر" ما كان ذهب إليه الجمهور، من أهل النظر البلاغي، من حيث أن البيت الشعري يجب أن يكون مستقلاً الاستقلال الكلي عن غيره من أبيات، وأنه لا يجوز أن يكتمل معناه في أول البيت الثاني – مثلاً – وأنكر ما عابه النقاد

([1]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية– دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق، ط1990،1، ص208. عن رولان بارت، نظرية النص: ت. محمد خير البقاعي. مجلة العرب والفكر العالمي.عدد(3) بيروت، 1988.

على الشعراء مما سموه " التضمين "، وهو ألا يكتمل المعنى بقافية البيت، بل يحتاج إلى الشطر الذي يليه. وذهب _ ابن الأثير_ إلى القول بأن علاقة البيت بالبيت كعلاقة الفقرة بالفقرة من النثر، فكما أنه يجوز أن يصل الفقرة بالفقرة، دون أن يعد ذلك عيباً في نثره. فكذلك الشعر يستطيع الشاعر أن يعلق معنى البيت بالذي يليه، ولو صح هذا ... لكانت القصيدة كالسبيكة الواحدة، لا يستطيع كائن من كان أن يرى تفككها، وتشتت أجزائها، أو خلوها من وحدتها العضوية، وحدتها الحية التي ينشدها المبدع، وتعين القارئ على التفاعل مع النص، تفاعلاً يجعله يقف على مزاياه المتمثلة في انضباطه وتنظيمه الداخلي.

وينفرد حازم القرطاجني (توفى 684 هـ) ... بنظرة أكثر شمولية للنص، تميزه عن غيره من أهل النظر في علوم البديع والبيان .... فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى " فصول " زعم أن لها أحكاماً في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة، وما سماه بالمقطع، وهو آخرها الذي يحمل في ثناياه الانطباع الأخير، والنهائي، عن القصيدة " ([1]).

لقد عرف العرب القدماء النص وأدركوا دوره، وفي الأدب العربي إشارات عديدة ترشدنا إلى ما يؤكد أن النص غير متناه في الإنتاج والحركة، وقابل لكل زمان ومكان لأن فاعليته متولدة من ذاتيته النصية، ولقد أشارت كتب الأدب العربي إلى ممارسات نصية عديدة بخصائص ومميزات تختلف بين العصور الأدبية. ولكن " لم يعرف العرب في تاريخهم ممارسة نصية كما عرفوها مع القرآن. ولعل أولى مظاهر هذه الممارسة ... تكمن في الوقوف على (النص في ذاتيته النصية) بتعبير رولان بارت. فذاتية النص تجليها قراءة للمكتوب تجعل النص كلاماً يقوم بنفسه إزاء كلام آخر يظهر عبر إنجاز لغوي مختلف"([2]).

***القرآن ومصطلح النص:**

ويرى بعض النقاد أن النص القرآني يتسم بكل صفات النص، مما جعل البعض يقصر لفظ نص على نص القرآن الكريم يقول (أدونيس) في مميزات النص القرآني:"إن النص القرآني يتجاوز الشخص: الله هو الذي أوحاه، ونقله إلى النبي ملاك. وبلغه النبي إلى الناس، ودونه كتاب الوحي، إنه عمل إلهي - إنساني عمل كوني، وهو بوصفه كذلك محيط بلا نهاية للمتخيل الجمعي. وربما كان أعقد ما فيه بوصفه كتابة، خلافاً لما يبدو ظاهرياً هو أنه متابعة لما قبله وتكملة: إنه خاتمة النبوات وخاتمة

([1]) د. إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص – دراسات وبحوث/ نقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1997، ص55-56.

([2]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 202.

الكتابة، إنه بمعنى ما أنهى الكتابة. ذلك أنه لم يكتب الأثر الذي يولده الشيء، وفقاً لتعبير مالارميه، وإنما كتب الشيء ذاته. لهذا لا يطرح النص القرآني مسألة ما الشعر، أو ما النثر وإنما يطرح السؤال ما الكتابة، وما الكتاب ؟

هكذا يقرأ النص القرآني بوصفه نصاً يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعاً. " كأنه أعاد الأبجدية إلى فطرتها، قبل الكتابة وفيما وراء الأنواع الكتابية" و" لغته ليست مجرد مفردات وتراكيب وإنما تحمل رؤيا معينة للإنسان والحياة وللكون أصلاً وغيباً ومآلاً"([1]).

النص القرآني " نص مكتوب (نص / كتابة)، يطرح إشكالية التصنيف (ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة)، ليست له بؤرة مركزية (بل يتضمن بؤراً لا نهاية لها)، وهو بلا بداية أو نهاية (له فاتحة ولكن ليست له بداية أو نهاية بالمعنى المألوف)، يقبل تأويلات لا حصر لها (حظي بهذا وسيبقى يحظى بتأويلات لا نهاية لها)، ذوات طاقة رمزية مطلقة، الإحالة المرجعية في النص القرآني على النص نفسه، وحقوق طبع النص القرآني غير محفوظة لأحد"([2]).

كما أن الدين واللغة في النص القرآني، " شكل روحي واحد أو بنية روحية واحدة لهذا يتكون من الغامض الذي لا يمكن أن يعرفه الإنسان ومن الواضح الذي يعرف مباشرة من ظاهر اللفظ، فهو أفق مفتوح، لكن على الغيب" ([3]).

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

ولقد توصل الأدب العربي إلى ذلك فقد رأى الجرجاني أن " للكتابة القرآنية خصائص لم تعرف قبل نزول القرآن، ويرى أنها لا تكمن في الكلمات المفردة - في جمال حروفها وأصواتها وأصدائها ولا في معاني الكلمات المفردة، التي هي لها بوضع اللغة، ولا في تركيب الحركات والسكنات، ولا في المقاطع والفواصل، وإنما تكمن هذه الخصائص في النظم والتأليف اللذين يقتضيان الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز فمن هذه يحدث النظم والتأليف، وبها يكونان" ([4]).

([1]) أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة ، ص34، 20، بتصرف.

([2]) د. شكري عزيز ماضي، من إشكاليات النقد العربي الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 1997، ص 174، بتصرف.

([3]) أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، دار الآداب، بيروت، بدون سنة أو طبعة، ص34.

([4]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص 300.

كما عبر الباقلاني عن القرآن أنه نظام لغوي يقوم على غير مثال، حيث يقوم:"على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه من أساليب الكلام المعتاد" ([1]).

" نشأ مع النص القرآني على الصعيد الإنساني، إنسان جديد، ونشأ معه على الصعيد الأدبي الخالص قارئ جديد ... إنه نموذج من الكتابة تتداخل فيه مختلف أنواع المعرفة – فلسفة وأخلاقاً، سياسية وتشريعاً، اجتماعاً واقتصاداً، وتتداخل فيه مختلف أنواع الكتابة ... وفي هذا ما يتيح للكاتب أن يعيد النظر في رؤياه للإنسان والعالم والكتابة، ولن تكون هذه الرؤيا إلا كونية وإنسانية. لن تكون إلا مزيداً من الاتجاه نحو الإنسان بوصفه إنساناً فيما وراء كل عرف ولون، وفيما وراء كل انتماء، ولن يكون فيها فرق بين الإنسان والإنسان إلا في عمق التعبير عن هذه الرؤيا وفي غناه وفرادته. إنه نص - دعوة إلى كتابة جديدة برؤيا جديدة " ([2]).

فـ" القرآن نص ينعقد مدلوله بأحوال متلقيه لا بأحوال مرسله، وهو لأنه كذلك، فإن التمثيل الوجداني الذي تضطلع أسلوبيته الفردية به، لا يقوم هنا على مثال مرسله، ولكن على مثال متلقيه. وبناء على هذا، يمكننا أن نقول: إن التحليل الأسلوبي لمضامين النص القرآني الوجدانية، إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي بالنص، دون أن ترسم انفعال المرسل، وذلك لسببين :

- لأن المتلقي (موضوع الخطاب) يعتبر جزءاً من دلالة الخطاب نفسه، فهو المنفعل فيه من جهة، وهو الذي يجليه إن سلباً وإن إيجاباً من جهة أخرى. وهو لأنه كذلك، يصبح أداة الخطاب في الدلالة على مرجعيته، فتتعين العلاقة بهذا بين الخطاب دالاً وما يشير إليه، أي مدلوله.

- لأن الله في التصور الإسلامي، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء و" ليس كمثله شيء".

- وما دمنا ننظر إلى القرآن بهذا المنظور، فسنرى أن ثمة علاقة تجاذبية تقوم بينه وبين المتلقي. فالدال يدل. من جهة أولى، على متلقيه ويتعدد به. والمتلقي من جهة ثانية، يرتبط به ارتباط المستدل بغيره على نفسه، وبه يتحول" ([3]).

([1]) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1971، ص 35.

([2]) أدونيس، النص القرآني وآفاق الكتابة، ص 35-36 .

([3]) د. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 231-232 .

وقد كتب العديد من الكتاب والمثقفين في (النص القرآني)، وأبدعوا أيما إبداع ومارسوا في دراستهم له كل ما توصلوا إليه من نظريات حديثة علمية وأدبية لاستنطاق النص، ومحاولة الاستفادة منه في كل زمان ومكان. وكانت كل قراءة له تعد محاولة تأتي اللاحقة بها لتنفيها أو تبني عليها، ثم ترتقي بها خطوة أخرى للأمام منسجمة ومتوافقة مع العالم المحيط .

ولم تكن الإشكالية في دراسة (النص القرآني)، في أي من مستوياته، ولكن الإشكالية بدأت تظهر مع ظهور المنهج النصاني، ومحاولة تطبيقه على القرآن من قبل بعض المثقفين والنقاد وإخضاعه لشروط النظرية النصية والادعاء بأن القرآن (نص) بالمفهوم الحديث والمعاصر للنص وأنه يشتمل على وظائف الاتصال التي عددها جاكبسون ومعايير النصانية التي حددها دوبوجراند.

لكن النظرية النصية نظرية إنسانية، وليس من الضروري أن تنطبق كل نظرية يتم التوصل إليها بالعقل البشري على القرآن الكريم، فالقرآن لم يكن في يوم من الأيام كتاب فلك، أو علوم، أو بلاغة، أو أدب إنه " الكتاب " كما أسماه رب العالمين .

ويطبق الكثير من المثقفين(*) معايير النصية على القرآن الكريم، ويؤكدون أنه (نص)، وهم بذلك يتناسون أن النصانية تقوم بشكل رئيس على التناص، فهي محكومة به. والتناص الذي يضفي الكثير من الجمال على الدراسات النصانية في الأدب، يُخرج النص القرآني في المصحف الشريف من الإلهي إلى البشري. وإن اعتبار القرآن كغيره من النصوص يؤكد ما يسعى إليه بعض المستشرقين والمستعربين من أن ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نصاً من الله هو جزء محدد من الكتاب، وأما البقية الباقية منه وبالأخص القصص فلقد جاءت من التناص مع الأديان السابقة على القرآن الكريم، وما استطاع الرسول عليه الصلاة والسلام كما يدعون أخذه عن الأحبار والرهبان، وتلك فرية كبيرة على القرآن الكريم النص الإلهي المطلق المنزه.

إن التراث البلاغي والنقدي العربي يسوغ لنا أن نتتبع فكرة النص عند المحدثين العرب، والنص في الوقت الحالي ما إن يذكر حتى يذكر محايثاً له د.عبد الله الغذامي، ود.محمد مفتاح، ود.صلاح فضل، ود.باسل حاتم ود. رقيه حسن، وغيرهم ممن عرّف النص وقام بالتنظير له، يقول د.محمد مفتاح: "النص مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة .

- مدونة كلامية : يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زياً وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل .

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

- حدث : إن كان نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي .
- تواصلي : يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقي .
- تفاعلي : على أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها .
- مغلق : ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، ولكنه من الناحية المعنوية هو:
- توالدي : إن الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية ... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له " ([1]).

ويرى الغذامي أن : " النص الأدبي هو بنية لغوية مفتوحة البداية ومعلقة النهاية، لأن حدوثه نفسي لا شعوري وليس حركة عقلانية. ولذلك فإن القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أي رسالة عادية تصدر بخطاب موجه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التعبير. إن القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النور أو كهطول المطر وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها وكأنها تتلاشى فقط وليس تنتهي، ودائماً ما تأتي الجملة الأولى من القصيدة وكأنها مد لقول سابق أو استئناف لحلم قديم، إنها لكذلك لأنها نص يأتي ليتداخل مع سياق سبقه في الوجود. وكذلك فالنص مفتوح وهو بنية شمولية لبنى داخلية: من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص ثم إلى النصوص الأخرى ليكون بعد ذلك:(الكتاب امتداداً كاملاً للحرف)" ([2]).

ولقد ربط العرب بين نسج الثوب ونسج الشعر وبين الشعر والنسج والتصوير، فكلها تحتاج إلى تناسق وتداخل وتفرد ويكون الهدف منه الإبداع والوصول إلى غاية الصناعة. قال الجاحظ: " إنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"([3]). ويرى ابن طباطبا أن " الشاعر الحذق كالنساج الحاذق الذي يفوق وشيه بأحسن التفويق، ويسديه، وينيره ولا يهلهل شيئاً منه فيشينه. وكالنقاش الرقيق الذي يصنع الأصابع في أحسن تقاسيم نقشه. ويشيع كل صيغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان "([4]).

([1]) د. محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص –، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1986، ص 120.

([2]) عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1985، ص 90.

([3]) الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1، ص 131.

([4]) ابن طباطبا العلوى، عيار الشعر، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، ص19.

مفهوم الخطاب :

يعرف محمد الباشا الخطاب، فيقول: " مصدر خاطب: المواجهة بالكلام، ويقابلها الجواب - :الرسالة. والخطابة مصدر خطب: عمل الخطيب وحرفته. والخُطَب: مصدر خَطَب: الحال والشأن. " قال فما خطبكم أيها المرسلون "([1]) - الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب، وغلب استعماله للأمر العظيم المكروه. (ج) خطوب. الخطبة: مصدر خَطَبَ: ما يخطب به من الكلام"([2]).

وفي معجم المصطلحات العربية الخطاب، " الرسالة Letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخصُّ سواهما، ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية- سواء أكتب نظماً أو نثراً – أو من المقامة في الأدب العربي"([3]).

وفي المعجم الوسيط: (خاطبه) مخاطبة، وخطاباً: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجه إليه كلاماً، والخطاب الكلام وفي القرآن الكريم: فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب"([4]).

أما في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب " مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسيةDiscourse ، وفي الإنجليزية Discourse، وتعني حديث ، محاضرة ، خطاب ، خاطب ، حادث ، حاضر ، ألقى محاضرة، وتحدث إلى" ([5]). وفي معجم أوكسفورد الموجز للغة الإنجليزية، يعرف الخطاب بأنه:

- "عملية الفهم التي تمر بنا من المقدمة حتى النتيجة اللاحقة.
- الاتصال عبر الكلام أو المحادثة، القدرة على المناقشة.
- سردي.
- تناول أو معالجة مكتوبة، أو منطوقة لموضوع طويل مثل بحث أو أطروحة أو موعظة أو ما أشبه ذلك.
- الاتصال المألوف، المحادثة.
- أن يقوم بخطاب تعني أن يتحدث ويناقش مسألة ما.
- أن يتكلم أو يكتب بشكل مطول عن موضوع ما.

---

(1) الذاريات: 31، الحجر:57.

([2]) محمد الباشا، الكافي معجم عربي حديث، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1992، ص 414.

([3]) مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 90.

([4]) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، القاهرة، مطبعة مصر، ج1، 1960، مادة (خطب)، الآية من سورة ص:23.

([5]) الياس انطون الياس، قاموس الياس العصري، دار الجليل، بيروت،1972، ص191.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

- أن يدخل في نقاش منطوق أو مكتوب، أن يخبر، أن ينطق.
- أن يتحدث مع، أن يناقش مسألة مع، أن يخاطب شخصاً ما.
- المخاطب هو الذي يخاطب، المخاطب هو الذي يفكر.
- عملية أو قدرة أو مقدرة التفكير على التوالي منطقياً، عملية الانتقال من حكم لآخر بتتابع منطقي، ملكة التفكير"([1]).

وفي معجم المصطلحات الأدبية الحديثة لـ (محمد عناني) : "الخطاب ومعناه " اللغة المستخدمة (أو استخدام اللغة) Language in use لا اللغة باعتبارها نظاماً مجرداً. ولكن ثمة ضروباً منوعة من الدلالات لهذا المصطلح حتى في نطاق علوم اللغة. فيقول مايكل ستابز Stubbs في كتابه " تحليل الخطاب" (1983) تعليقاً على استخدام مصطلحي النص والخطاب Text and discourse إن ذلك كثيراً ما يتسم بالغموض ويبعث على البلبلة. وهو يقول إن الخطاب كثيراً ما يوحي بأنه أطول وبأنه قد يتضمن أو لا يتضمن التفاعل (ص9).

وهكذا فبعض اللغويين يعتبرون أن الكلام الذي يقال في حلقة دراسية Seminar يمثل كله خطاباً، بمعنى عملية تبادل للأفكار تكتسي ثوباً لفظياً، على حين يعتبر آخرون أن بياناً واحداً في الحلقة يعتبر خطاباً، طال أو قصر. كما يختلف اللغويون في إمكان " جمع " الخطاب، فبعضهم يقول إنه يجمع (خطابات) والبعض الآخر يقول إنه يجمع وغير قابل للعد والإحصاء، ويذهب فريق ثالث إلى إمكان جمعه في أحوال معينة. فإذا كان الخطاب " يجمع " فسوف تكون المشكلة التالية هي البت فيما يشكل حدود تعريف الخطاب الواحد، ويقول ستابز إن وحدة خطاب محدد يمكن تعريفها من حيث البناء أو الدلالة أو الوظيفة (ص5).

أما جيرالد برنس فيقول في كتابه " معجم علم السرد " (1988) إن للخطاب معنيين منفصلين في إطار نظرية السرد: الأول هو المستوى التعبيري للرواية لا مستوى المضمون، أي عملية السرد لا موضوعه، والثاني يتضمن التمييز بين الخطاب والقصة Story (وبنفنيست Benvenisite يستخدم الخطاب و histoire في كتابه بالفرنسية)، لأن الخطاب كما يقول ستابز يوحي بعلاقة بين " حالة أو حادثة وبين الموقف Situationالذي يوحي فيه لغوياً بهذه الحالة State أو الحادثة Event (ص21). أي إن التعريف هنا يستند إلى التفرقة بين الخبر والإخبار به، أو بين الواقعة والإبلاغ عنها، مما يماثل الفرق بين enonciation و enonce .

([1]) بتصرف من The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles.p563

ويفضل بعض كتاب الإنجليزية الاحتفاظ بالصورة الفرنسية للكلمة (أي دون حرف الـ (e) الأخير) عند استخدم الخطاب بالمعنى الذي استخدمه فيه بنفنيست).

وأما فوكو فيقول إن الخطاب يمثل " مجموعة كبيرة من الأقوال أو العبارات" ("أثرية المعرفة " – 1972 ، ص 37) – ويعني بها " مساحات لغوية تحكمها قواعد"، وهي القواعد التي تخضع لما يسميه فوكو " بالاحتمالات الاستراتيجية ". ومن ثم فإن فوكو يقول إنه في لحظة معينة من تاريخ فرنسا مثلاً سيكون هناك خطاب معين (أي لغة معينة) للطب – ويعني بها هنا مجموعة من القواعد والأعراف والنظم (نظم التوسط mediation) التي تحكم أسلوب الحديث عن المرض والعلاج، ومتى يكون ذلك وأين وعلى أيدي من؟ ولكن المشكلة، لا تزال قائمة وهي كيف نضع حدود خطاب معين؟ ويرجع أحد جوانب المشكلة إلى استخدام فوكو لتعبير Discursive formation بطريقة توحي بأنه يمكن أن يعني تقريباً ما يعنيه " الخطاب" ؛ إذ إن كلمة discursive هنا تستعمل صفة من discourseلا بمعناها المألوف أي باعتبار صفة من " اللف والدوران " – مما جعل ناقداً آخر هو جون فراو Jone Frow (في كتابه " الماركسية والتاريخ الأدبي" – 1968) يقترح استخدام تعبير بديل عنه وهو " عالم الخطاب" universe of discourse ويقدم نماذج له من أنواع الخطاب الديني والعلمي والبراجماتي والتقني اليومي والأدبي والقانوني والفلسفي والسحري، وما إلى ذلك بسبيل، ويفرق بين ذلك كله وبين أنواع الخطاب genres of discourse التي يعرفها، استناداً إلى فولو شينوف بأنها " مجموعات من الملامح الشكلية والسياقية والموضوعية، ذات أبنية معيارية، أو " طرائق الحديث" في موقف من المواقف." (ص67) .

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

ويقول فوكو، إن لكل مجتمع وسائله في " ضبط " أنواع الخطاب فيه، واختيار بعضها وتنظيمه وإعادة توزيعه، وأن الهدف من هذا " الضبط " هو تفادي " الأخطار والقوى" (1981-ص52).

وهذه الوسائل تتحكم فيما يطلق عليه فوكو تعبير discursive practices (ممارسات الخطاب) و discursive strategies (استراتيجيات الخطاب) و discursive objects (أهداف الخطاب) بحيث تتضح الملامح المنتظمة للخطاب discursive regularities في كل حالة.

وتعلق ليندا نيد Lynda Nead على استخدام فوكو لهذا المصطلح قائلة إنه يتسم بعدم الاتساق ومن ثم فإن المرء لا يثق فيما يعنيه المصطلح على وجه الدقة حتى داخل كتاب واحد أو مقال واحد من مقالات فوكو، وهي تدلل على ذلك بتحليل استخدامات فوكو للمصطلح في كتاب " تاريخ النزعة الجنسية " History of Sexualit (1988-ص4).

وإذا نظرنا إلى المعجم الصغير الملحق بكتاب باختين " الخيال الحواري" (1981) وجدنا أن كلمة الخطاب تستخدم ترجمة للكلمة الروسية Slovo، التي قد تعني كلمة واحدة، أو طريقة في استخدام الكلمات توحي بدرجة ما من السلطة (ص 427) والمعنى هنا ليس بعيداً عن معاني فوكو، فخطاب الثقة أو حديث الثقات authoritative discourse هو اللغة ذات المزايا التي تأتينا من خارجنا، وتفصلنا عنها مسافة، وهي محرمة، ولا تسمح بالمساس بسياق إطارها" (ص424). أما خطاب الإقناع الداخلي Internally persuasive discourse فهو الخطاب الذي يستخدم نفس ألفاظنا ولا يقدم نفسه في صورة "الآخر" أي باعتباره ممثلاً لقوة أجنبية، أي غريبة عنا. وأما الخطاب السامي ennobled discourse فهو الذي أضفي عليه الطابع " الأدبي" وأصبح رفيعاً وليس في متناول أيدي الجميع. ويورد تودوروف Todorov في كتابه عن باختين

(1984) مقتطفات من كتاباته تدل على الاختلافات القائمة بين شتى معاني الكلمة لديه (أو ما يقابلها بالروسية) – منها " الخطاب"، أي اللغة في مجموعها المجسد الحي"، و " الخطاب، أي اللغة باعتبارها ظاهرة مجسدة كلية "، و " الخطاب، أي النطق" (بالروسية) vyskazyvanie . ويصر باختين على أن الخطاب يعني اللغة المجسدة الحية ذات الشمول والاكتمال في كتابه عن دستويفسكي (1984- ص181)، وينكر أنها اللغة " باعتبارها موضوع دراسة علماء اللغة والتي يعرفونها من خلال عملية تجريد ضرورية ومشروعة من شتى جوانب الحياة العملية للكلمة" (نفس الصفحة) .

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

والواضح، كما يقول هوثورن (1994)، إن الإيديولوجيا بشتى تعريفاتها، من "الجيران الأقربين" للخطاب طبقاً لمفهوم فوكو وباختين. ولم ينس تودوروف أن يأتي بمصطلحين جديدين هو الآخر للحاق بأسرة الخطاب، هما الخطاب الأحادي التكافؤ monovalent discourse، والخطاب المتعدد التكافؤ polyvalent discourse ." ([1])

" هذا من الناحية اللغوية البحتة، أما الخطاب في التعريف الاصطلاحي للخطاب، كما جاء في الكتب النقدية. فقد تجاذبته اتجاهات متعددة، وقع بعضها في مزالق أدت إلى الخلط بين مفهوم الخطاب كمصطلح نقدي، وبين الكلام بمفهوم" دي سوسير".

([1]) د. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي-عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط1،1996، ص 19-22.

أما النص فهو وحدة معقدة من الخطاب ، إذ لا يفهم منه مجرد الكتابة فحسب وإنما يفهم منه عملية إنتاج الخطاب في عمل محدد([1]).

وبين الخطاب والنص علاقة قوية جداً " فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ... أو جملة الهموم المعرفية التي جرى التعبير عنها في إطار ما" ([2]) .

أنواع الخطاب :

تتعدد أنواع الخطاب العربي وتختلف باختلاف مرجعيتها، ولقد قسمها منذر عياشي إلى ثلاثة أنواع؛ يأتي على رأسها الخطاب القرآني. وهو خطاب إلهي، مطلق ولا نهائي في دواله ومدلولاته "**ليس كمثله شيء** "([3])، كتب الله على نفسه حفظه، قال تعالى : " **إنا له لحافظون** "([4]) .

" النوع الثاني: ويمكن تسميته " الخطاب الإيصالي " ونماذجه متعددة سياسية، وإرشادية ووعظية وقضائية وإقناعية، واجتماعية، وإعلامية إلى آخره. - يقول د.الجابري: " صنفنا الخطاب ...إلى أربعة أصناف: الخطاب النهضوي وجعلناه يدور حول قضية النهضة عامة والتجديد الفكري والثقافي خاصة، والخطاب السياسي ومحورناه حول "العلمانية" وما يرتبط بها والديمقراطية وإشكاليتها، والخطاب القومي وركزناه حول " التلازم الضروري" – الإشكالي الذي يقيمه الفكر العربي بين الوحدة والاشتراكية من جهة وبينهما وبين تحرير فلسطين من جهة ثانية. ويأتي الخطاب الفلسفي أخيراً ليعود بنا إلى صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث والمعاصر، وإشكالية الأصالة والمعاصرة –"([5]).

والنوع الثالث: ويمكن أن " نسميه الخطاب الإبداعي (الشعري) ونماذجه متعددة هي الأخرى، ولكن يتميز عن الأول بأنه خطاب يقوم على مبدأ الأجناس الأدبية"([6]).

([1]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 241.

([2]) روبرت دى بوجراند، النص والخطاب الإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1998، ص6.

([3]) الشورى: 11.

([4]) الحجر: 9.

([5]) د. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1994، ص 16.

([6]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص215.

SAHLA MAHLA

1- الخطاب القرآني :

إن الخطاب القرآني خطاب إلهي، لم يستطع أحد تسميته إلا كما سماه الله عزوجل في كتابه الكريم حيث سماه (الكتاب) متفرد عن غيره من الخطابات وفي كل مستوياته الصوتية، والمعجمية، والتركيبية، والإيقاعية، والتداولية.

الخطاب القرآني لانهائي الدال والمدلول أو التركيب " خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص على مثال مرسله. وهناك مرجعية المدلول، ويكون النص فيها على مثال متلقيه. وهناك أخيراً، مرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمنه الخاص ودائراً مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته"([1]).

2- الخطاب الإيصالي (النفعي) :

إن عملية الإيصال لا تكون إلا بوجود الأقسام الثلاثة المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والخطاب الإيصالي " يقوم على لغة نفعية استهلاكية مباشرة، وهذا طبيعي ما دام الإيصال هو غايتها، ولقد ذهبت بعض الدراسات الحديثة، إلى دراسة هذا النوع من الخطاب تحت اسم (La Pragmatique النفعية أو التداولية" ، وهذه الدراسات كما تقول (فرانسواز آرمينغو) تدرس" اللغة ظاهرة استدلالية، وإيصالية واجتماعية في الوقت نفسه"([2]).

تبدأ مرجعية الخطاب الإيصالي النفعي من الخطاب وتنتهي بالمرسل ،فـ " إذا كان الخطاب هو بالضرورة فعل الكلام " كما يقول تودورف([3]) ، فإن الخطاب الإيصالي، يشذ عن هذه القاعدة لسببين: أولاً: لأن الإيصال قد يكون بأدوات غير لغوية، ثانياً: لأن اللغة ليست هدفاً إيصالياً بحد ذاته، ولا هي أيضاً جزء من أهداف الإيصال... ويرى أنه كلما اشتدت غيبة الخطاب كائناً مستقلاً وطغى حضور المرسل كائناً باثاً، ازدادت عملية الإيصال وضوحاً وحققت أهدافها ... حيث أن هدف الإيصال هو نقل

([1]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 220.

([2]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص146- 147.

([3]) La notion Litteraire. P.32.Ed-Seuil, Paris, 1987.

فكرة المرسل لا نقل لغة الخطاب التي يتم الإرسال بها ... فالخطاب الإيصالي في مقصوده، هو المرسل فيما يريد أن يخبر عنه، وهو بهذا. أي المرسل، يستمر بقاؤه لأنه يحقق وجوده الاجتماعي"([1]).

3- الخطاب الإبداعي :

يقوم الخطاب الشعري الإبداعي على ستة عناصر كما حددها جاكبسون تغطي كافة وظائف اللغة بما فيها الوظيفة الأدبية. فلقد وجد أن السمة الأساسية التي من أجلها وجد النص هي الاتصال، هذا ويأخذ النص سماته الخاصة من خلال تدرج وظائف عناصر الاتصال، والتي فصلهما جاكبسون في نظرية الاتصال (Communication theory)، وليس من خلال احتكاره لواحدة منها.

وفي نظرية الاتصال " يذكرنا جاكبسون بمبدأ المحورين الذي عرضه سوسير: محور التزامنات (Axedes Simultaneites) أو محور الانتقاء(Selections) ومحور التعاقبات (Successitivites) أو محور التركيب (Combinaison) ويطلق عليهما اسمي المحور الاستبدالي (Axe paradigmatique) والمحور النظمي(Axe Syntagmatique) فالعلاقات التركيبية هي معطيات الجملة القابلة للملاحظة، أما العلاقات الاستبدالية فتقع على محور الانتقاء باعتبارها أفعالاً بالقوة(Virtualites)....

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

ويتم الانتقاء بناء على قاعدة التكافؤ (Equivalence) والتماثل (Similarite) والتباين (Dissimilarite) والترادف (Synonymie) والتضاد (Antonymie)، بينما يستند التركيب إلى التجاور (Contiquite). غير أن الوظيفة الشعرية تسقط

(Projettee) مبدأ التكافؤ لمحور الانتقاء على محور التركيب فيصبح التكافؤ إذاً إجراء مكوناً للمتتالية (Sequence)" ([2]).

أما العناصر فهي :

- " المرسل: الذي يرسل الرسالة إلى شخص ما، ومن يتكلم أو يكتب.

- الرسالة: موضوع الإيصال.

- المرسل إليه: مستقبل الرسالة (المتلقي)وغاية إرسالها.

([1]) السابق، ص 218-218، بتصرف.

([2]) مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ص 221.

- المحيط (السياق): المرجع الذي يحيط المرسل إليه به علماً، (حتى يستطيع إدراك مادة القول).

- رموز الإيصال (الشفرة): وهي مشتركة بين المرسل والمرسل إليه، وهي الخصوصية الأسلوبية لنص الرسالة.

- التماس أو قناة الإيصال: وهي مادية ونفسية وبموجبها يقوم التبادل ويستمر دوامه.

سياق

رسالة

مرسل _____ مرسل إليه

وسيلة

شفرة

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

وكل قول يحدث إنما يدور في هذه المدارات الستة مهما كان نوع ذلك القول، واختلاف الأقوال في طبيعتها إنما يكون في تركيزها على عنصر من هذه العناصر أكثر من سواه فليست المسألة مسألة الوظيفة الوحيدة، بل مسألة الوظيفة المهيمنة وبذا تختلف الوظائف حسب تركيزها على العناصر"([1])، ولقد حدد جاكبسون تلك الوظائف على النحو التالي:

" الوظيفة الإخبارية، التعليمية، التفسيرية، فنحن نتكلم لكي نقول شيئاً، أو نعرف به.

الوظيفة التعبيرية، فنحن لا نتكلم لكي نعبر وحسب، وإنما نتكلم أيضاً لكي نخبر عن أنفسنا، والرسالة في هذه الحالة مركزة على المرسل، يعبر فيها عن خوفه، وغضبه، وسخريته، ومعتقده ... الخ وهو هنا ينقل كذلك خبراً، لكنه مختلف عن الأول.

([1]) منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ص 214.

وإذا كنا نقدر أن نطرح حول الوظيفة الأولى سؤالاً وهو؛ هل الخبر حق أم باطل؟ فإن السؤال حول الوظيفة الثانية هو: هل الخبر صادق أم كاذب؟

الوظيفة التحريضية : يمكن أن نتكلم أيضاً لكي نحرض، لكي ندفع إلى العمل، كأن نعطي أمراً أو نصيحة، والرسالة هنا مركزة على المرسل إليه (المتلقي)، ووظيفتها تحريضية وهي لا تدخل في مجال الخطأ والصواب، وإنما مجالها المشروعية واللامشروعية: هل لي الحق في إعطاء هذه الرسالة أم لا؟

وظيفة المؤانسة (Phatique): الرسالة هنا لا هدف لها إلا إقامة علاقة اتصال، أو تثبيتها، أو قطعها. لا نتكلم هنا لنقول رسالة، بل لنأنس إلى ما حولنا وليأنس به، وهنا لا نبحث عن حقيقة، هنا نأنس مع العالم.

الوظيفة الوصفية النقدية: وهي التساؤل حول لغتنا، حول ما لا يفهم من كلامنا: ماذا تريد أن تقول؟ ماذا تعني؟

الوظيفة الشعرية: وهي أن يكون هدف الرسالة ذاتها، بوصفها واقعاً مادياً، باستقلال عن معناها، وتتجلى هذه الوظيفة بقدر ما يكون الدال أكثر أهمية من المدلول وبقدر ما تتغلب كيفية القول على مادة القول"([1]).

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

([1]) أدونيس، كلام البدايات، ص 113، 114.

المحاضرة الثامنة:

الأسلوبية وتحليل الخطاب

تهتم الأسلوبية بدراسة الخطاب الأدبي باعتباره بناء على غير مثال مسبق، وهي لذلك تبحث في كيفية تشكيله حتى يصير خطابا له خصوصيته الأدبية والجمالية. فالخطاب الأدبي مفارق لمألوف القول، ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيته، ويحقق خصوصيته، فهي" علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها- أيضاً- علم يدرس الخطاب موزعاً على مبدأ هوية الأجناس؛ ولذا، كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات"[1]. وبالرغم من الملاحظة الظاهرة على تعريف العياشي للأسلوب مركزاً على عنصر الخطاب، إلا أنه لا ينفي تعدد مستويات الأسلوبية.

SAHLAMAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

لا يفوتني أن أشير إلى أن الرواد العرب في تعريفاتهم كانوا يقتربون من الطرح الغربي، بصورة توحي بتبنيه، ولا يعيبهم هذا في شيء، بل كانت ثقافتهم واطلاعهم على ما استجد في الساحة الغربية على مستوى الدراسات اللغوية، واللسانية، والصوتية، والنقدية، حافزاً إلى العودة إلى التراث العربي الأصيل، انطلاقاً من الحس المرهف، الذي تلمّس في هذا الوافد الجديد، روح الآباء والأجداد، الذين أرسوا دعائم علوم اللغة، والبلاغة، وإن لم يسجلها التاريخ المعاصر باسمهم. فكان الجهد في البحث في بطون التراث مجدياً، حين أثبتت الدراسات وجود ملامح الدرس الأسلوبي عند النقاد العرب القدامى.

---

(1) منذر عياشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب: مركز الإنماء الحضاري: 2002م: ص27.

إن اختلاف الخطاب الأدبي عن صنوف الخطابات الأخرى يكون بما يركبه فيه صاحبه من سمات أسلوبية، تفعل في المتلقي فعلا يقرره الكاتب مسبقا ويحمله عليه، مستخدما ما تقتضيه الكتابة من وسائل تختلف عن مقتضيات المشافهة، ولذلك كان ريفاتير يرى أن الخطاب الأدبي لا يرقى إلى حكم الأدب إلا إذا كان كالطود الشامخ والمعلم الأثري المنيف يشد انتباهنا شكله، ويسلب لبنا هيكله. [1]

كما يعرف "مانقينو" الخطاب الأدبي، ويشير إلى تعدد دلالاته: فالخطاب عنده مرادف للكلام لدى دي سوسير، وهو المعنى الجاري في اللسانيات البنيوية، ولذلك يعتبره ملفوظا طويلا أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية. ويقيم في النهاية معارضة بين اللسان والخطاب ؛ فاللسان ينظر إليه ككل منته وثابت العناصر نسبيا، أما الخطاب فهو مفهوم باعتباره المآل الذي تمارس فيه الإنتاجية، وهذا المآل هو" الطابع السياقي" غير المتوقع الذي يحدد قيما جديدة لوحدات اللسان، فتعدد دلالات وحدة معجمية هو أثر للخطاب الذي يتحول باستمرار إلى أثر للسان يصبح الخطاب فيه خاصا بالاستعمال والمعنى مع زيادة مقام الواصل وخاصية الإنتاج والدلالية. [2]

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

لقد أحدث ظهور الأسلوبية في حقل العلوم الإنسانية واللسانية مشكلا قبل أن تتحول . الأسلوبية . إلى منهج نقدي لمقاربة الأثر الأدبي، فرضته التطورات والاكتشافات العلمية والثقافية والأدبية في القرن العشرين. ذلك أن مصطلح الأسلوبية استخدم في بداية القرن الماضي للدلالة على الحدود الموجودة بين الأدب واللسانيات، وهو المجال الذي كانت تحتله البلاغة القديمة، وبقي شاغرا بعد

---

[1] الأسلوبية في النقد العربي الحديث، ص. 211

[2] R. BARTHES , Introduction à l'analyse structurale des récits ,In: Communication n°8, .Paris,1966,P. 612

انحلالها"Effondrement "مما نتج عنه طرح عدة قضايا نقدية، اتجه بعضها إلى التشكيك أصلا في مدى جدوى هذا الحقل المعرفي الجديد. [1]

إن انشطار الأسلوبية بين المجالين: الأدبي واللسانيات، بقدر ما كان يمثل إشكالا عند طرحه، بقدر ما حفّز الدارسين على استجلاء خفايا هذا الحقل، وكشف أسرار النص الأدبي الذي ظل معناه العميق مجهولا، لم تستطع المقاربات النقدية، والبحوث البلاغية القديمة استكناه جوهره، ومعرفة السر الذي يحكم بناءه اللغوي، وعناصره الدلالية الأخرى، والوصول إلى معرفة ما يميز كل أسلوب، والبحث عما يربطه بالكتابات المعاصرة له والسابقة عليه أو اللاحقة به، وهو الأمر الذي دفع ببعض الباحثين إلى المطالبة بضرورة إلحاق الأسلوبية بمختلف توجهاتها وفروعها بأحد المجالين: الأدب أو اللسانيات. [2]

غير أن هذا الحل لم يكن يعبّر عن طموح البحث الأسلوبي الذي لقي رواجا كبيرا بفضل ما ألف فيه من بحوث أكاديمية، قدمت للقراء رصيدا معرفيا كبيرا. وظهر بعد شارل بالي اتجاه نقدي جديد يدعو إلى ضرورة فصل الأسلوبية عن المجال الأدبي واللسانيات لغرض فسح المجال لها لتحقيق ذاتها واستقلالها. [3]

SAHLA MAHLA

ونظرا لارتباط هذا المنهج بـ"شارل بالي"، فإنه يستحسن أن نعرف ما يصله بأستاذه دي سوسير، في رؤيته للغة، وقضايا اللسانيات بصفة عامة.

يعتبر "شارل بالي" اللغة نظاما من الرموز التعبيرية تؤدي محتوى فكريا تمتزج فيه العناصر العقلية والعناصر العاطفية، فتصبح حدثا اجتماعيا محضا

---

(1) Pierre GUIRAUD et Pierre KUENTZ, La stylistique, lecture, Klincksieck, Paris, 1970,P. 15

(2) Ibid. P. 13.

(3) Ibid. PP. 1415

ينطلق الأسلوبيون في تحليل النص الأدبي من مجموعة من المبادئ،وهي المبادئ الرئيسة التي تشكل المنهج الأسلوبي، والشكل التالي يوضح هذه المبادئ :

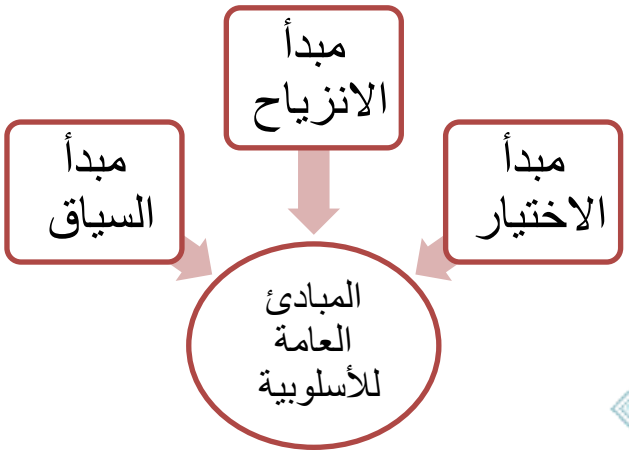

أولا مبدأ الاختيار:

وقد درج الأسلوبيون على تقسيم الاختيار على النحو التالي :

SAHLA MAHLA
الموسوعة الأولى لمذكرات التخرج في الجزائر

1- **الاختيار النحوي** : وهو اختيار المتكلم أو الكاتب كلمة وتفضيلها على أخرى لأنها أكثر تعبيرا عن المعنى ، أو أكثر تلائما مع القاعدة النحوية ، ومن أمثلة هذا النوع من الاختيار " الفصل والوصل " ، " والتقديم والتأخير " ، والذكر والحذف وغيرها .

2- **الاختيار النفعي** : وهو اختيار كلمة دون غيرها لتفادي رد فعل معين من السامع أو القارئ ، أو لأن اللفظ المختار أكثر انسجاما مع الموقف أو السياق ، على سبيل المثال اختيار كلمة " استشهد " أكثر انسجاما من " مات" أو " قتل " في مقام المقاومة .

3- **الاختيار السياقي** : وهو اختيار كلمة تؤدي معنى جديد في سياق محدد وأكثر أمثلة هذا النوع في الاستعارة .

ثانيا مبدأ الانزياح أو العدول

والانزياح أو العدول في الأسلوبية الحديثة يعني خروج الكاتب عن المعايير اللغوية بما يسمح به نظام اللغة ، وهذا المفهوم يتفق مع نظرية النظم عند الجرجاني التي تدعو الكاتب أو الشاعر أن يختار الأسلوب النحوي المناسب للسياق أو المقام ، فقد يستدعي السياق تقديما أو تأخيرا أوحذفا أوتعريفا أو تنكيرا أو غير ذلك ، وينبغي للمبدع أ ن يتصرف بقواعد النحو وفق مقتضيات السياق والمقام ، بشرط أن يحافظ على صحة الإعراب وما يقتضيه نظام اللغة .

ثالثا : السياق

قسم بعض الباحثين السياق إلى أربعة أنواع ، وهي : السياق اللغوي ، والسياق العاطفي ، وسياق الموقف ، والسياق الثقافي ([1])، فالسياق اللغوي يعني اختيار الالفاظ المناسبة للسياق ، أما السياق العاطفي فيعني التوافق بين البعد النفسي للكاتب وما يختاره من ألفاظ وأساليب، وأما سياق الموقف فهو المقام أو المناسبة او الحدث الذي يعبر عنه النص ، وأما السياق الثقافي فهو البيئة الثقافية التي ينتمي إليها المبدع أو المتلقي.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

مستويات التحليل الأسلوبي

حينما نختار قصيدة أو ديوان كاملا بهدف دراسة الظواهر الأسلوبية نجد أن الظواهر متعددة ومتنوعة، وهذه الظواهر يمكن تقسيمها إلى المستويات الآتية : (الشكل التالي يوضح هذه المستويات)

1. **المستوى الصوتي**:

- ويرتكز على: الوقف- الوزن- النبروالمقطع- التنغيم والقافية.
- يمكن في هذا المستوى دراسة الإيقاع والعناصر التي تعمل على تشكيله، والأثر الجمالي الذي يحدثه. كما يمكن دراسة تكرار الأصوات والدلالات الموحية التي تنتج.

---

[1] – د/ أحمد مختار عمر – علم الدلالة – مكتبة دار العروبة – الكويت – 1982 – ص: 69

2. **المستوى التركيبي**:

- يدرس فيه: الجملة والفقرة، والنص، من خلال الاهتمام بِـ البنية العميقة والبنية السطحية- طول الجملة وقصرها- الفعل والفاعل- الإضافة- التقديم والتأخير- المبتدأ والخبر- التذكير والتأنيث- البناء للمعلوم والبناء للمجهول- الصيغ الفعلية- وغيرها.

3. **المستوى الدلالي**: ويدرس فيه:

- الكلمات المفاتيح- الكلمة والسياق- الاختيار- الصيغ الاشتقاقية- وغيرها.

4. **المستوى البلاغي**: ويدرس فيه:

- الإنشاء الطلبي وغير الطلبي- الاستعارة وفعاليتها- المجاز العقلي والمرسل- البديع ودوره الموسيقي- ونحو ذلك.

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر

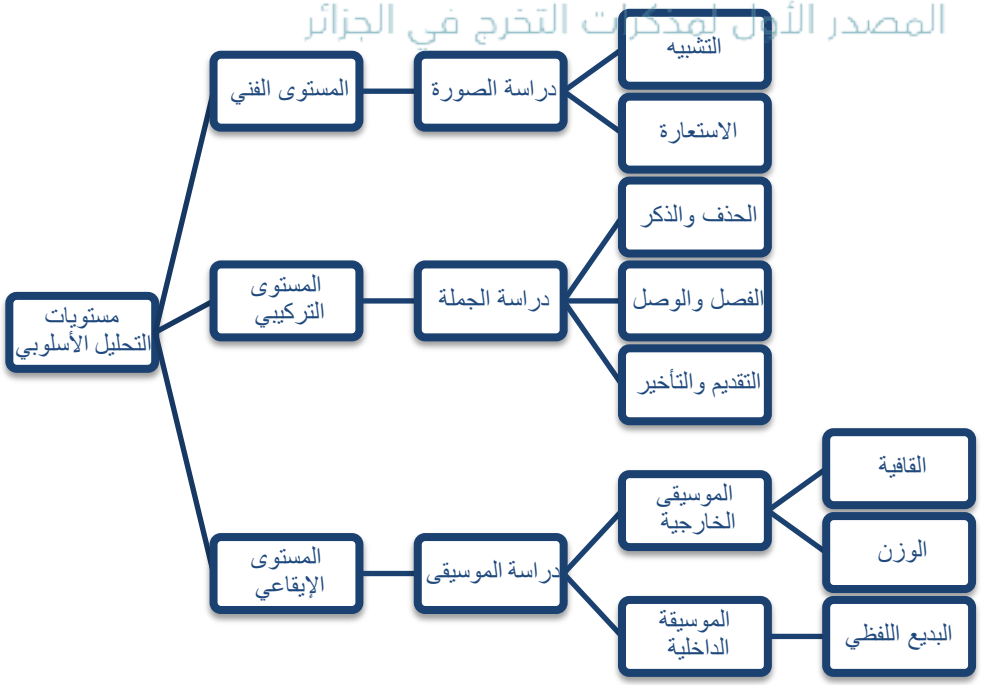

جهود العلماء والباحثين العرب في مجال الدراسات الأسلوبية

هناك كوكبة من العلماء والباحثين العرب قاموا على تأصيل هذا العلم في عالمنا العربي ، وهذه بعض الدراسات الرصينة الجادة في هذا المجال :

اسم المؤلف	عنوان الكتاب
د/ أحمد درويش	دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث
د/ رجاء عيد	البحث الأسلوبي معاصرة وتراث
د/ سعد مصلوح	الأسلوب دراسة لغوية إحصائية
د/ شفيع السيد	الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي
د/ شكري عياد	مدخل إلى علم الأسلوب
د/ صلاح فضل	علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته
د/ عبد السلام المسدي	الأسلوب والأسلوبية
د/ علي عزت	الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب
د/ مصطفى السعدني	البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث
د/محمدالهادي الطرابلسي	خصائص الأسلوب في الشوقيات

SAHLA MAHLA
المصدر الأول لمذكرات التخرج في الجزائر